* فضيلة الشيخ المجاهد محمد أبو زهرة ودفاعه عن قضايا الإسلام:

❑ قال عنه الشيخ محمد الغزالي أنه إمام وثيق في فقهه.. دقيق في علمه.. وإن الرجل الذي رمق بازدراء الساسة المستبدين، وأدار وجهه عنهم مستغنيًا متأبِّيًا ينبغي أن يكون أسوة حسنة لعلماء هذا العصر.. إن بقي منهم أحد!!

إنني واحد من كثيرين تتلمذوا على الشيخ محمد أبو زهرة وصاحبوه في جهاده الطويل.. نجحت مؤامرات الصمت المتعمد في طيّ اسمه.. ولكن هل تقدر هذه المؤامرات على طيّ مؤلفاته العامرة، وكتبه الحافلة بالخير الكثير.

إن الجهود تبذل لردم منابع الثقافة الإسلامية الصحيحة وملء الأجواء بالكتابات التافهة والسامة؟!!

على أن هذه الجهود ستلحقها الهزيمة آخر الأمر، ويبقى الإسلام، وما كُتب من أجله إن شاء اللَّه»[1].

❑ ويقول عنه الدكتور محمد كامل البنا رئيس تحرير مجلة لواء الإسلام سابقًا:

«لقد عرفت الشيخ أبا زهرة سنين طويلة، واختلطت به وخَبَرته عن كثب في أثناء رياستي لتحرير مجلة (لواء الإسلام) قرابة ثلث قرن من الزمن، فرأيت فيه شدة في الحق، وقوة في إبداء الرأي، وشجاعة في التصميم على ما يقول.. كان شديد الغضب حقًّا، بل وعنيف الثورة عندما يحس أن رأيًا يسيء إلى الدين أو العقيدة، أو يتعارض مع إجماع المسلمين»[2].

---

(١) «قمم إسلامية» أبو زهرة إمام عصره الجزء الأول حياته وأثره العلمي لأبي بكر عبدالرازق (١/ ١٠ ـ ١١) ـ دار الاعتصام.

(٢) «أبو زهرة وقضايا العصر» لأبي بكر عبدالرازق (٣/ ٥) ـ دار الاعتصام.

كان مفروضًا أن يلي أكبر المناصب الدينية، ولكن رفضه للزلفى وكراهته للملق أبعده عن تلك المناصب التي يختار لها غالبًا من يحسنون الصمت عند وقوع الكبائر، وربما يبكي غيره لهذا الحرمان، أو هذا التضييق، ولكنه ما أحس شيئًا من الخسار أصابه، أو من الدنيا فاته، فكبرياء الرجل العلمية جعلته فوق كل هذه المناوشات!

*** همس.. وليته ما همس!**

حدث أن اشترك الشيخ الإمام «أبو زهرة» في مناقشة رسالة الدكتوراه لأحد المسئولين الذي كان يشغل منصب المتحدث الرسمي للرئيس الراحل «جمال عبدالناصر» وكان من الحاضرين أثناء مناقشة تلك الرسالة أول رئيس لجمهورية مصر العربية اللواء «محمد نجيب» (أطال اللَّه في عمره)، وكان موضوع تلك الرسالة عن فلسطين، وبدأ الإمام أبو زهرة النقاش وقبل أن يحتدم النقاش طلب من الرئيس «المتقاعد» محمد نجيب أن يتفضل بمغادرة القاعة حفاظًا على سلامة موقفه الحساس، خاصة وأنه كان صديقًا شخصيًا للإمام «أبو زهرة» وظل الشيخ الإمام يحاور الباحث ما يقارب الثلاث ساعات. بين له فيها أن رسالته عبارة عن بعض التقارير الخاصة بالشئون العربية لرئاسة الجمهورية وأنه ـ أي الباحث ـ لم يكلف نفسه فيها حتى بجهد ترتيب الصفحات.. أو الموضوعات.. أو حتى إصلاح الأخطاء اللغوية الفادحة.. وأراد أحد الحاضرين أن يبسط من هول الموقف فهمس في أذن الإمام أن صاحب الرسالة مسئول كبير.. «الممثل الشخصي لرئيس الجمهورية».. وليته ما همس!! فلقد كانت الغضبة المضرية لأبي زهرة، وصاح فيه قائلاً: «.. متحدث رسمي.. أو ممثل شخصي لرئيس الجمهورية.. تلك مسميات تستخدم في مكتب رئيس الجمهورية لا تهمنا في شيء.. ولا دخل لنا بها.. ولا مكان لها هنا.. هو هنا طالب علم فقط،

فإما طالب.. أو لا طالب!!».

ونكتفي بهذا القدر..![1].

* رسالة إلى الحاكم:

في بداية عهد السادات وبعد تخلصه من مراكز القوى، ومحاولة خدعة جماهير الأمة واستقطابها، بألفاظه ووعوده البراقة، وبما كان يجريه من لقاءات، حيث التقى بجميع طوائف الأمة. وخصَّ رجال الأزهر بالذهاب إليهم.. فاستقبلوه استقبالاً طيبًا.. ما عدا الشيخ الإمام «أبو زهرة» فقد أبدى بعض تحفظاته، وتحدث إليه بلغته التي عهدت فيه قائلاً: «.. إن كنت مخلصًا في قصدك الذي حضرت من أجله لرجال الأزهر فهذا شيء طيب، يحمد لك، وإياك رسالة مني خطية، اقرأها إن كنت تريد فلاحًا وسيرًا على الدرب الصحيح، فاستلمها منه وأعطاها لسكرتيره.. فغضب الإمام «أبو زهرة» وقال: يا أنور.. تلك الرسالة خاصة بك أنت، وبها مقومات الحاكم العادل، الذي يرعى حق أمته، وحق اللَّه عليه، فإن كنت تريد فلاحًا فتدبر ما فيها. ونطلب العون لك من اللَّه بقدر إخلاصك لدينك ووطنك»[2].

❑ وفي وقت خرست فيه كل الألسنة في عهد عبدالناصر كان أبو زهرة ـ رحمه اللَّه ـ يبدأ محاضراته باستعراض للمشكلات الاجتماعية والسياسية الدائرة على الساحة خاصة المحظور منها والمدرج ممتلئ عن آخره بالطلبة يقض ـ رحمه اللَّه ـ مضاجع المناوئين للإسلام[3].

---

(١) «أبو زهرة إمام عصره» لأبي بكر عبدالرازق (١/ ٥٠ ـ ٥١).

(٢) المصدر السابق (١/ ٥١ ـ ٥٢).

(٣) انظر المصدر السابق (١/ ٥١).

وحقيقة الشجاعة عنده في القول هي النطق بالحق، حيث يقتله الإخفاء، وإعلانه حيث يلجلج الباطل.

*** الشجاعة عند أبي زهرة:**

«منطق الشجاعة عند الشيخ الإمام «أبو زهرة» يتحدد في منطلقات ثلاثة: شجاعة مرفوضة، وشجاعة واجبة، وشجاعة حسنة مستحبة.

أولها: شجاعة مرفوضة:

الشجاعة، وما نعبر عنها أيضًا بالصراحة، منها ما يكون كشفًا للأستار التي يضر المجتمع كشفها، كإعلان ما استتر من الرذائل، والكشف عن المخبوء من النقائص، فإن ذلك يضر ولا يفيد، ويشيع الشر، ويحرض على الرذيلة، وقريب من ذلك اغتياب الناس ولو كان صدقًا، وقد قال اللَّه تعالى: ﴿**وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا**﴾. وسئل الرسول الكريم ﷺ عن الغيبة فقال: «**ذكر أخاك بما يكره**»، فقال السائل: ولو كان صدقًا، فقال ﷺ: «**إن كان صدقًا فقد اغتبته، وإن كان كذبًا فقد بهته!**».

ثانيها: شجاعة واجبة:

وما يكون في ذكره إثبات حق في مجلس الفقهاء، وهذا واجب دينًا على كل من عاين على أنه فرض عين، فإن اللَّه تعالى يقول: ﴿**وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ**﴾.

ثالثها: شجاعة حسنة مستحبة:

الأمر الثالث: النطق بالحق لأمر بالمعروف ونهي عن المنكر، وإرشاد الخلق إلى الحق، ونقد ما يؤدي إلى الضياع، وتأييد ما فيه مصلحة العباد، ودفع لجاجة أهل الباطل، وهذا بلا ريب من الشجاعة التي تطلق عليها مجازًا

الصراحة، وأولئك هم الذين يقول اللَّه فيهم: ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَىٰ صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾.

* صبره على المحن:

عندما غضب السلطان على الشيخ الإمام «أبو زهرة» وأمر بأن يعتقل في بيته لا يراه أحد.. ولا يرى هو أحدًا. قطع علاقاته بكل الصحف والمجلات التي يجد فيها متنفسًا، منعه من إلقاء محاضراته.. أو لقاءاته مع تلامذته وأصدقائه.. عظم هذا الموقف على نفس أحد تلامذته وأصدقائه المقربين فعرض عليه أن يخاطب السلطان في أمره.. ويعرض عليه أن «الشيخ أبو زهرة» ليس له طموحات سياسية.. أو أي تطلع لأي مركز قيادي.. وهو لا يستحق ما يفعل فيه بدون ذنب ارتكبه ولكن الإمام رفض في إباء وشمم وثار على صديق عمره وغضب منه غضبًا شديدًا قائلاً له: أن كرامة علمة «أبو زهرة» لا يخضعان لأي بشر مهما كانت صفته. وعبر عن محنته هذه في مقدمة آخر كتبه «المعجزة الكبرى» بقوله:

«نحمد اللَّه سبحانه وتعالى على ما اختبرنا به، لقد اختبرنا اللَّه تعالى في أول كتاب نكتبه عن القرآن الكريم، فانقطعنا عن الصحف السيارة التي نخاطب المسلمين من فوق منبرها، وقُطِعنا عن المجلات العلمية التي نوجه الفكر الإسلامي عن طريقها، وعن كل طرق الإعلام فلا نصل إليها، وكان الهم الأكبر أن يقطعنا عن دروسنا وعن المحاضرات العامة ولكنَّ «القرآن الكريم» آنسنا في وحدتنا، وأزال غربتنا، وكان العزاء النفسي والجلاء الروحي، واختبرنا اللَّه تعالى بالضر، كما اختبر نبيه أيوب، إذ قال: ﴿إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين﴾ وأنه وإن تشابه المرض فإنه يختلف المقام، فهذا نبي يوحى إليه ونحن من الأتباع، ونرجو أن نكون من الأبرار من أتباع النبيين، لزمنا المرض المقعد نحو شهرين فكان ألم الابتعاد عن القرآن أكبر من

ألم المرض المحض، ولقد مَنَّ اللَّه علينا بالشفاء، فخرجنا من الداء العقام، وما منعنا وعثاء المرض فعدنا إلى القرآن نقتبس من نوره ونعبق من عرفه، فهو أنس المستوحش، وسمير المستغرب فآنسنا بعد طول الغياب، ومنحنا اللَّه تعالى به العافية، فوفقنا لأن نقطع كل ما أردنا عرضه في مدة المرض، وكنا في مجموع ما بلينا من طول المدة أصحاء في أبداننا؛ لأنه سلمت نفوسنا من السقام بفضل القرآن»[١].

واختبرنا اللَّه تعالى من بعد.. بهمٍّ واصب، بأن أصاب رفيقة حياتي كسر أقعدها وأقعدني بالغم الشديد، والكرب البعيد الأثر العميق في النفس، ولكن أنس القرآن خفف همِّي وكشف غمِّي؛ لأنه ملأها إيمانًا بقضاء اللَّه وقدره، ووضع في نفوسنا الصبر الجميل، من غير أنين ولا ضجر، ولكن برضا لما أراد، وهو اللطيف الخبير[٢].

❑ حُظِر على مجلة لواء الإسلام أن تنشر له تفسيرًا أو فتوى.. وظل ـ رحمه اللَّه ـ منتصب القامة عزيز الجانب، ما اكترث لموقف جمال عبدالناصر منه، ولا لضيقه به.

وظل في مجالسه كلها ينقد أخطاء المجتمع والحكم أيضًا.. ويوجه ويحق الحق ويبطل الباطل. وهناك القضايا الاجتماعية والتشريعية التي يعتبر المحامي الأول فيها بلا منازع، والتي كنَّا نمشي في أثره وهو يدافع عنها: هي قضايا الأسرة، ومحاولة أعداء الإسلام تنصير قوانينها وقضايا المعاملات المالية، ومحاولة جعل البنوك الربوية دعامة الاقتصاد الإسلامي، هذا بجانب مواقفه الشجاعة من قضية الشورى[٣].

---

(١) «المعجزة الكبرى» لأبي زهرة.

(٢) «أبو زهرة إمام عصره» (١/ ٥٥ ـ ٥٦).

(٣) المصدر السابق (١/ ١٩٢).

وكان ـ رحمه اللَّه ـ يوصي تلاميذه دائمًا بقوله: «كونوا يا بنيّ مع الحق دائمًا، وأخلصوا للَّه دائمًا، ولا تمالقوا أحدًا في حق، ولا تكونوا على ضعيف أبدًا».

وهو الذي أعلن بصدق المؤمن رأي الإسلام واضحًا جليًّا في العديد من القضايا الوطنية الهامة والخطيرة، متصديًا بكل العنف للقضايا التي نبش عنها المنحرفون فكريًّا ـ صنائع مدارس الاستشراق وعرَّى كل سوءاتهم معلنًا رأيه الحر من فوق أعلى المنابر وأخطرها.. حيث الجمع الهائل من علماء المسلمين القادمين من كل دول العالم الإسلامي، منبر مجمع البحوث الإسلامية، والملتقى الإسلامي بالجزائر، ومنبر الجامعة العربية في كل أنحاء العالم العربي والإسلامي! ولم يَدَعْ مجالاً أو مكانًا استطاع أن يصل إليه إلا بلغه[1].

*** أبو زهرة وواقع الأمة الإسلامية:**

❑ يقول ـ رحمه اللَّه ـ: «سبب انتكاسة الأمة الإسلامية وأيضًا أشدّ ما ابتلي به المسلمون في هذه الأيام أمران:

❑ **الأمر الأول**: وجود طائفة من أبناء الأمة تعتقد أن الخير في فرنسا وانجلترا وأمريكا وغيرها من تلك الدول الصليبية التي تنهش لحم المسلمين، ولا تكف عن الضرب والأذى في كل حين وإن هؤلاء يؤمنون بالمدنية الأوربية أكثر من إيمانهم باللَّه ويؤمنون بالحضارة المادية أيضًا.

❑ **الأمر الثاني**: الذي ابتلي به المسلمون في هذا الزمان: اليأس، والضعف، وخور العزائم، وانحلال الإرادة، فلا عزيمة تمضي، ولا إرادة تبرم ولا رأي يجتمع ولا فكرة تتوحد ﴿**تحسبهم جميعًا وقلوبهم شتى**﴾ قد فرقهم

(١) المصدر السابق (١/ ١٩٣).

الفكر وفرقهم الهوى وفرقهم الكبراء.

ولعل هذين الأمرين كانا سببًا في أن خرت الأقاليم الإسلامية صريعة تحت سلطان النفوذ الأوربي، وأن فَقَدَ المسلمون الثقة بأنفسهم، وأن صاروا نهبًا مقسومًا لكل غالب، وأن استخذوا ودينهم دين العلو، وأن ذُلوا ودينهم دين العزة، وأن ضعفوا واستكانوا ودينهم دين القوة والجهاد.

ويقول الإمام «أبو زهرة» ولكي تعود إلى الأمة الإسلامية ثقتها بنفسها، وعزتها وكرامتها، وتكون بحق خير أمة أخرجت للناس، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، لا بد من الاستمساك بكتاب اللَّه، والعودة إلى شريعة القرآن التي عندما غفل عنها المسلمون ضاعوا، وأهملوها ذهبت عزتهم، وضعفت كلمتهم وصار أمرهم سددًا بددًا لا جامعة تجمعهم، ولا رابطة تربطهم وهزمت الأخلاق، واستبيحت المحرمات، وتحكمت الأهواء، فصار الشُّحُّ مطاعًا والهوى متبعًا، وأصبح بأسهم بينهم شديدًا، وقلوبهم شتى، وتقطعوا شيعًا وأحزابًا، ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ كأن اللَّه سبحانه وتعالى لم ينزل على نبيه الكريم: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ فما جمعنا شملنا ولا عَبدْنَا حق العبادة ربنا، وتوزعتنا الأرض، فارتبط كل بأقليمه، كأنه لا يعرف وحدة سواه، ونسي أن المسلمين تجمعهم كلمة اللَّه، وشريعته التي نزلت على خاتم النبيين محمد ﷺ، وبذلك التوزع ذهبت النخوة، وماتت العزة الإسلامية، ورضينا بالذل مقامًا، وبالهون من المنازل حظًا وقسمًا، ونسينا قول اللَّه تعالى: ﴿وللَّه العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾ وصرنا معشر المسلمين هدفًا تصوب إليه السهام، وغرضًا يُنال، ونهبًا مقسومًا بين الذين لا يريدون بالإسلام إلا خبالاً، ولا يرجون للمسلمين وقارًا، بل صرنا نستغل والغلة لغيرنا، ونعمل والثمرة لأعدائنا، ونسعى في الأرض التي ارتبطنا بها وليس السعي لنا بل نتائجه لغيرنا، وكأن اللَّه

سخرنا عبيدًا أو عسفاء[1] لهم، ونسينا قول اللَّه تبارك وتعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾.

* وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾.

*** أصبحنا نحل ما حرم اللَّه!**

❑ لقد صار أمرنا ليس بأيدينا، وولايتنا بأيدي غيرنا، يوجهون في بلادنا السياسة، ويتحكمون في أسواقنا الاقتصادية، ما يحلونه نستحله، ولو أكد القرآن الكريم تحريمه، وما يحرمونه نحرمه، ولو كان في القرآن إباحته، نحل بأمرهم ما حرم اللَّه، ونحرم بأمرهم ما أحل اللَّه، يستنصر الكثير منا بهم، ويجعلون الولاية لهم، وبين أيدينا قول اللَّه تعالى: ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾.

* وقوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾.

❑ وفي ألم وحسرة يفصح الإمام عما يختلج بصدره من ألم دفين لما صار إليه حال المسلمين فيقول: هذا ما آل إليه أمرنا، أو بالأحرى بعض ما آل إليه أمرنا عندما تركنا شريعة القرآن فقد نسينا صدر تاريخنا، وتنكرنا لماضينا، ورضينا بحاضرنا، وقبلنا أن نكون في كل شيء تابعين ومن قبل كنا متبوعين، حتى خواطرنا سمحنا لغير المسلمين أن يتحكموا فيها، فسرنا لا نفكر إلا بتفكيرهم ولا نتخيل إلا بأخيلتهم، وكأننا لم يكن لنا في الماضي

(١) جمع عسيف وهو العامل الأجير الذي يعمل لغيره.

حضارة إسلامية قائمة، ساست العالم، أو ما وصلت إليه هدايته بالقسطاس المستقيم.

❑ وبعد أن بيَّن حال المسلمين المؤسفة والمخزية عندما تركوا العمل بالشريعة الإسلامية ونسوا كتابهم وسنة نبيهم الكريم، انتقل فضيلته إلى بيان محاسن الشريعة الإسلامية، وما أسبغته على المسلمين من فضل وعزة وازدهار عندما تمسكوا بها ورفعوا راياتها خفاقة ثم قال: ولكن لما هجرها المسلمون، وأقاموا بعض القرآن وأهملوا بعضه ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ وأخذوه متفرقًا، ولم يأخذوه كلاًّ لا يقبل التجزئة، وحُكْمًا عامًا لا يقبل التخصيص، وشرعًا عادلاً لا يقبل التفرق. لَمَّا فعلوا ذلك آلُوا إلى ذلك المآل، فلا حول ولا قوة إلا باللَّه العلي العظيم[1].

* أبو زهرة يدعو إلى الجهاد لتحرير الجزائر ويقول: تحرير الجزائر تحرير للأمة الإسلامية[2]:

❑ وينتقل الإمام «أبو زهرة» من الدعوة إلى التمسك بشريعة القرآن والعمل بأحكامها إلى استنفار المسلمين في كل بقاع الأرض للعمل على الوقوف صفًا واحدًا من أجل مساعدة شقيقتهم الجزائر المسلمة التي تعاني من ذل وقهر الاستعمار الفرنسي أخس شعوب أهل الأرض ويؤكد أيضًا على أن المنطلق إلى الجهاد والتضحية من أجل الوطن أساسه التمسك بشريعة اللَّه.. شريعة القرآن.. فيقول:

● قال رسول اللَّه ﷺ: «**جاهدوا المشركين بأنفسكم وألسنتكم**

(١) المصدر السابق (١/ ١٩٦ ـ ١٩٩).

(٢) «مجلة لواء الإسلام» ـ العدد الثالث ـ السنة العاشرة (ص١٦٥)، و«أبو زهرة إمام عصره» (١/ ٢٠٥ ـ ٢٠٩).

وأموالكم» وهذا أمر عام خالد إلى يوم القيامة، ولذا قال ﷺ في حديث آخر: «الجهاد ماض إلى يوم القيامة».

وإن الجهاد أصبح الآن أوجب الواجبات على المسلمين، على كل مسلم قادر على حمل السلاح أن ينتضى سيفه ويتقدم للجهاد، وعلى كل ذي مال أن يقدم ما يستطيع أن يعاون به جند اللَّه ولقد قال تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾، وإن هذا ينطبق علينا اليوم نحن المسلمين تمام الانطباق، فإننا إن لم ننفق في سبيل اللَّه تعالى لأولئك الذين امتشقوا السلاح، وهم يجاهدون بالصبر ولا مال معهم، ولا مأوى يأوون إليه، وليس لهم من القوة إلا إيمان صادق، وعزم ثابت وإرادة وثيقة، وقوة نفس، إننا إن لم ننفق عليهم أصابتنا التهلكة، وافترَسَنَا أولئك الأعداء فريسة بعد فريسة، وأخذونا لقمة بعد لقمة، والتهمونا طعم بعد طعم.

وعلى ذوي الأقلام والألسنة أن يكشفوا خبايا النيات الصليبية، والمستور من الخبائث الفرنسية، وأن يعلنوا حقيقتهم وحقيقة من يمالئونهم، ويروِّجون لهم بين المسلمين ويلقون في روع الناس أنهم أحرار، وما هم إلا أنذال فهم الذين يتحدث ماضيهم بالخزي والعار، ويتحدث حاضرهم بالإسفاف والصغار، ألم يستضعفوا أمام الإنجليز في الماضي ويسلموا لهم قائدهم الذي كان رمز مجدهم يسومونه في «سانت هيلانة» سوء المهانة والمذلة؟! وألم يستسلموا للألمان استسلام الخانع الذليل المهين الذي يرضى بالهوان بدل العزة، ويخضعوا للحكم الألماني بضع سنين لم يرتفع لهم فيها صوت؟ وها هم أولاء اليوم يلقون بنصف مليون من شبيبتهم في الجزائر أمام عشرين ألفًا، ويستعيرون الأسلحة من أمريكا وانجلترا لدك الأرض دكًّا؛ لأن قومًا قالوا: نحن أحرارٌ في بلادنا، وأننا إن لم ننل الحرية اختيارًا فسننالها انتزاعًا، ننتزعها بإرادة لا تعرف الضعف، فإن الحرية هي معنى الإنسانية، وخير أن نعيش

كالإنسان ونحن نسير إلى ميدان القتال من أن نعيش آمنين في ظل من الخنوع كما رضي الفرنسيون تحت حكم الانجليز، وتحت حكم الألمان.

*** الإبادة الكاملة لأحياء المسلمين:**

❑ هذا واجب المسلمين، وهو يوم النفير، لا يصح لأحد أن يتقاعس عن واجبه، ويقول ماذا أصنع أو ماذا نَصنع. إن هذا يوم الجزائر وغدا يوم تونس. ومن بعدهما ليبيا، وهكذا يفنون الجماعات الإسلامية قبيلاً بعد قبيل، وكل ينتظره دوره، وهم في غفلة ساهون يرتعون ويلعبون، وكأن الأمر لا يهمهم في شيء، وكأنها ليست الذراري والنساء المسلمات يسبين، وتهتك أعراضهن، ويفنى رجالهن.

ولقد وصف الذين شاهدوا وعاينوا وخرجوا من حر السيوف، ونيران المدافع إبادة المسلمين ودك القرى والمدائن فقالوا: إن الأنذال من قواد الفرنسيس، وكلهم كذلك، يقسمون الأراضي التي يسكنها المسلمون إلى مربعات محدودة، ويجيئون إلى كل مربع بأكمله، فيحيطون به إحاطة الدائرة بقطرها حتى إذا أحكموا الالتفاف، أرسلوا صواعق النيران من الأرض والسماء فالمدافع تقصف والطائرات تلقى النيران من السماء، حتى إذا لم يبق في المربع حي، فلم يعد فيه ديار ولا نافخ نار، اتجهوا إلى مربع آخر.

*** هذه أُمتكم أمة واحدة:**

❑ فهل لمسلم أن يسكت عن هذه الشرور، ويترك إخوانه في هذه الإبادة؟ إنها إذن الحالقة لكل خير، وإنه الموت الذليل، وإنه الفناء العتيد، وإن أشد ما تصاب به النفس أن تقطع أجزاؤها، فلا تحس بألم، وتستأصل منهم قطع متجاورات، فلا يشعرون بألم القطع، ولقد فقد المسلمون الإحساس بالأخوة العامة التي تشير إليها الآية الكريمة: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ**

إِخْوَةٌ﴾ وفقدوا معنى الوحدة فلا يدركون معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾، ولقد تضافرت الآلام واشتدت فعسى أن تكون منبهة للغافل، موقظة للنائم، شاحذة للعزائم، وللهمم.

❑ وإن أشد ما ابتلي به المسلمون في هذه الأيام أمران (أحدهما) وجود طائفة منهم تعتقد الخير في فرنسا وانجلترا وأمريكا، وغيرها من تلك الدول الصليبية التي تنهش لحوم المسلمين ولا تني عن الضرب والأذى في كل حين، وإن هؤلاء يؤمنون بالمدنيَّة الأوربية أكثر من إيمانهم باللَّه، ويؤمنون بالحضارة المادية ولا يؤمنون بشيء سواها من الحياة، كل مظهر حسِّي يستولى عليهم، وكل بريق مادي يأخذهم، وليس لهم من الإسلام إلا اسمه، وليس لهم من التدين إن كان إلا رسمه، وأولئك يوهنون أحكام الإسلام، ويعظمون ما عند الأوربيين أيًا كان، فقد استرقت أوربا وأمريكا نفوسهم، ولو زال نصف الرقعة الإسلامية من الأرض ما بكوا، وإن أصيب جزء من فرنسا أو انجلترا أو أمريكا بأذى شقوا الجيوب، ولطموا الخدود..!!

❑ ولو كان هذا الصنف من الناس هينًا عند الناس، كما هو مهين في ذاته لهان الأمر ولسهل الخطب ولكن مع الأسف لهم بين الناس قيادة فكرية وصلوا إليها في غفلة من الزمان وقد فسدت فيه مقاييس التقدير، واضطربت موازين القيم الخلقية والعلمية، وصارت السطوة لأجهر الأصوات، وإن كان صاحبه أجوف لا ينطوي على شيء.

هذا الصنف من الناس ما رأى حماسة دينية إلا أطفأها، ولا إقدامًا على عمل إلا ثبطه، وإننا لنرجو أن يسكت اللَّه تعالى هؤلاء، وأن يجعلهم كحقيقتهم لا يؤبه لهم في شيء، ولا يلتفت إليهم في قول، فإنه إذا خفت صوتهم علا صوت الحق ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾.

❑ **والأمر الثاني**: الذي ابتلي به المسلمون في هذا الزمان اليأس والضعف وخور العزائم وانحلال الإرادة، فلا عزيمة تمضي، ولا إرادة تبرم، ولا رأي يجتمع، ولا فكرة توحد ﴿**تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى**﴾ قد فرقهم الفكر، وفرقهم الهوى، وفرقهم الكبراء ولا حول ولا قوة إلا باللَّه.

❑ وإن هذين الأمرين كانا سببًا في الماضي في أن خرت الأقاليم الإسلامية صريعة تحت سلطان النفوذ الأوربي، وأن فقد المسلمون الثقة بأنفسهم، وأن صاروا نهبًا مقسومًا لكل غالب، وأن استخذوا ودينهم دين العلو، وأن ذلوا ودينهم دين العزة، وأن ضعفوا واستكانوا ودينهم دين القوة والجهاد.

تلك حالنا إن نبتت نابتة قوة خَذَّلها عبيد النصارى بدعايتهم الذليلة، وإن اشتعلت للحق نار أطفئوها بتخذيلهم المزري، وأهل الإيمان في حيرة بين ضعف الضعفاء واستخذاء الأقوياء، وإلحاد الملحدين، وضلال الضالين، حتى صار المسلمون طعمة للآكلين.

وإن الأمر في الجزائر واضح بين: توحش غاشم همجي، يتحكم في أحرار، ولكن نجد المخذِّلين مع ذلك لا يتكلمون ويترددون، وإن اضطروا لكلمة الحق قالوها لكيلا ينكشف أمرهم وينفضح مستورهم، وليجدوا مساغًا لزيف القول يرددونه في الوقت المناسب. ولما شاعت وذاعت تلك المظالم الفرنسية، ولم يُحرْ أحدٌ عنها جوابًا، لعبت فرنسا لعبة لتوجد لهؤلاء الضالين المضلين كلامًا يقولونه ويسوغونه، ذلك أن نائب رئيس وزرائهم قد استقال للمذابح في الجزائر!! بخ بخ!! كأن مذابح الجزائر بنت اليوم، وكأنها لم تكن منذ أكثر من شهر، وكأنها لم تكن لها مثيل في مراكش من قبل. وأشاعت الصحف التي تمالئ فرنسا في مصر أن ثمة أزمة فرنسية بسبب تلك المذابح. ولقد كذبتهم الحوادث، فإن المذابح ما زالت مستمرة، وعملية الإبادة

ما زالت قائمة على قدم وساق، والجزارون ما زالوا آخذين بالمدى يقومون بعملية الذبح على أقبح وجه رآه تاريخ الإنسانية. وإن حوادث التتار في الماضي لأقرب إلى الإنسانية من تلك الهمجية؛ لأن أولئك كانوا رجالاً ففيهم بطولة ومروءه وشجاعة، وأما الفرنسيس فشيء آخر، لا إنسانية، ولا رجولة ولا مروءة، ولا شجاعة ولا أي شيء مما يعلو به ابن الإنسان.

*** إنه حب الدنيا.. وحب الشهوات!!**

❑ وإنا لنسمع بين وقت وآخر: ماذا نصنع مع هؤلاء الأقوياء؟ تلك كلمة قالها الضعفاء من المسلمين، وقالها الأقوياء وقالها الأغنياء، وقالها ذوو الألسنة والأقلام، ﴿**كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا**﴾ ماذا يصنع أكثر من خمسمائة مليون أو زهاء ستمائة مليون لإنقاذ تسعة ملايين من أجبن دولة رآها التاريخ.. إنهم يصنعون لها العجائب إن أرادوا وأجابوا داعي الإيمان في قلوبهم، ولكن الأمر فيهم أنهم استناموا إلى الراحة، وآثروا الاطمئنان من الخذلان، على النفير مع العزة. لقد تنبأ بذلك خليفة رسول اللَّه ﷺ عندما قال: «**واللَّه لتألمن من النوم على الصوف الأذربي كما يتألم أحدكم من النوم على حسك السعدان**» إنه التنعم المزري الذي يشجعه فينا الذين يريدون بنا الذل والهوان، إنه حب الدنيا وحب الشهوات.

❑ ويسترسل الإمام «أبو زهرة» في استنفار المسلمين للأخذ بيد شقيقتهم الجزائر فيقول:

❑ **أيها المسلمون**: أين الأموال التي تخرج من باطن الأرض الإسلامية لتتحول إلى ذهب في أيدي الكبراء، أأرسل أحد من هؤلاء طائفة من تلك الأموال كي يشتري بها أولئك المجاهدون سلاحًا يذودون به عن حياضهم، ويحمون حمى الإسلام؟! ولماذا لا تذهب كتائب الفدائيين لتلقي الذعر في

صفوف الأنذال من جند فرنسا؟! ولماذا لا تذهب كتائب من المجاهدين الأحرار تعمل في الصفوف؟ ولماذا لم ترسل الحجاز والعراق وباكستان وإيران وغيرها كتائب. إن الأمر أمر الإسلام كله، لا أمر الجزائر، إنها بلاد الإسلام تقتطع قطعة قطعة، بل أين الأطباء الذين يذهبون ليداووا كلوم الجرحى، أين أطباء الهلال الأحمر! اللَّهم لا حول ولا قوة إلا باللَّه.

* **الجهاد.. الجهاد!!**

إن الجهاد نية واحتساب، وليس أموالاً، ولا مادة، وإنه ليروى في ذلك عن أنس بن مالك خادم رسول اللَّه ﷺ أنه قال: «جاء رجل إلى عمر يقول له: يا أمير المؤمنين، احملني فإني أريد الجهاد. فقال عمر لرجل: خذ بيده فأدخله بيت المال يأخذ منه ما شاء، فدخل الرجل. فإذا ببيضاء وصفراء، فقال: ما هذا؟ ما لي في هذا حاجة، إنما أردت زاداً وراحلة.. فردوه إلى عمر. فأمر بزاد وراحلة. وجعل يعد له الراحلة بنفسه. فلما ركب رفع الرجل يده يحمد اللَّه ويثني عليه بما هو أهله؛ لأنه مكنه من الجهاد، وسار عمر يمشي خلفه يتمنى أن يدعو له، فالتفت إليه الرجل وقال: اللَّهم فاجزه خيراً».

تلك هي النية المحتسبة، وإنها لو وجدت عند كتيبة إسلامية لأزالت الجبال من مواضعها إننا نعتقد أن سلائل أمثال هذا الرجل ما زالوا في المسلمين، فلقد قال النبي ﷺ: **«لا يزال قوم من أمتي يقاتلون عن أمر اللَّه، يزيغ اللَّه بهم قلوب أقوام وينصرهم عليهم، حتى يأتي أمر اللَّه والخيل معقود في نواصيها الخير»**.

وإن هذا الزمن هو الذي يجب أن يظهر فيه أولئك الأقوام، ألا فليظهروا وليجيئوا من أقصى الصين أو باكستان أو أي بلد إسلامي حتى

يصلوا إلى أرض الجزائر ويعلموا الفرنسيين ونصراءهم أن في القلوب إيمانًا، وأن أمة القرآن ما زالت تحمل السيف كما تحمل القرآن، وأن هذه السياحة التي يسيحون بها من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب هي جهاد الإسلام، فقد قال عليه السلام: «**سياحة أمتي الجهاد في سبيل اللَّه**» اهـ.

* أبو زهرة عدو الشيوعية والاشتراكية العلمية ـ والشيوعيين:

❑ قال ـ رحمه اللَّه ـ: «الشيوعيون يجدون أن مذهبهم لا يسكن إلا في نفوس فارغة من الدين والخُلُق، فكان عملهم الأول هو تفريغ النفوس من الدين والخُلُق حتى إذا فرغت أسكنوها ذلك المذهب المادي الرخيص!!.

ولذلك أقول وأصرّ على ما أقول: إن الإباحية التي تهدم الدين والخُلُق قنطرة الشيوعية، ولا يمكن أن تسكن الشيوعية في قلب مؤمن»[1].

❑ قال الفقيه الشجاع أبو زهرة هذا في عصر قال فيه عبدالناصر أثناء انعقاد اللجنة التحضيرية «للمؤتمر الوطني» للقوى الشعبية عام ١٩٦١ بالحرف الواحد: «ليكن لنا في مجتمعنا الجديد مسجد حرام هو «البناء الاشتراكي» فلنقل للناس جميعًا.. هذا هو مسجدنا الحرام!!! من دخله فهو آمن!!!»[2].

وكان ذلك بداية دعوة صريحة للاشتراكية العلمية المنحرفة، والتي حمل لواء الدعوة إليها عدد من الكتاب والصحفيين الذين عرف عنهم التبعية لكل عهد..! والجري وراء ما يقربهم من السلطان أيًّا كان.. لتطويعه وتضليله ولتنفيذ مآربهم من خلاله..

ولعل أهم ما يميز هؤلاء أنهم عبارة عن مخلفات زمان مضى.! ورثوا من سبقهم من عملاء... ودعاة هدم لكل ما هو شامخ من يوم أن شق

---

(١) «أبو زهرة وقضايا العصر» (٣/ ١٣٣).

(٢) المصدر السابق (ص١٣٤).

الاستعمار الاستشراقي طريقه بين صفوف أمتنا.. وهدفهم واحد، وهو أن يحققوا للثقافة الغربية الوثنية والسيطرة الغربية، كل الغلبة على عقولنا، وعلى مجتمعنا وعلى حياتنا، وعلى ثقافتنا، ولكي يتم بهذه الغلبة انهيار الكيان الكبير الشامخ، الذي بناه أجدادنا في قرون سالفة وصححوا به فساد الحياة البشرية في كل نواحيها الإنسانية والأدبية، والأخلاقية، والعملية، والفكرية، وردوها إلى طريق مستقيم.

*** وجاء في تخاريف وأكاذيب الميثاق الذي اخترعه عبدالناصر:**

«إن الحل الاشتراكي لمشكلة التخلف الاقتصادي والاجتماعي، وصولاً ثوريًا إلى التقدم لم يكن افتراضًا قائمًا على الانتقاء الاختياري، وإنما كان الحل الاشتراكي حتمية تاريخية، فرضها الواقع، وفرضتها الآمال العريضة للجماهير كما أكَّدَ الميثاق: أن الصراع الطبقي لا يمكن تجاهله وإنكاره».

ويقول الميثاق أيضًا: «إن الاشتراكية العلمية، هي الصيغة الملائمة لإيجاد المنهج الصحيح للتقدم. وأن أي منهاج آخر لا يستطيع بالقطع أن يحقق التقدم المنشود.. ويوجد في الميثاق أيضًا: «ضرورة سيطرة الشعب على أدوات الإنتاج.. وتوجيهها طبقًا لخطة محددة، كما يدافع بشدة عن التأميم وأثره في ضرب المبادرة الفردية.. إلخ.. !!».

وهذا ترديد للأفكار الماركسية وقد تصدى أبو زهرة البطل وفند أوهام الشيوعيين وأبطل ادعاءاتهم وردّ ـ رحمه اللّه ـ على من يقولون إن الإسلام وهو غض كان يدعو إلى الاشتراكية بالقول والعمل، وأن ما تركه محمد كان كله يساريًا وأنه لم يطبق إلا في حياته، وبعض حياة الراشدين من بعده، وكان تعبيرهم في هذا ينقصه الذوق، وتنقصه اللياقة في القول، فوصفوا دعوة محمد بأنها يسارية، ووصفوا الراشدين بأنهم يساريون، وكان يمكن أن

يعبروا بغير هذا التعبير، محافظة على مقام الرسالة، ومقام الصديقين من أصحابه الحواريين، ولكنهم لم تستقم قلوبهم، فأنى تستقيم ألسنتهم؟ ورحم اللَّه تعالى أبا بكر الصديق رضي الله عنه، إذ يقول: «استقامت ألسنتكم لو استقامت قلوبكم».

*** لا يؤخذ الدين إلا من قلب تقي:**

❑ يقول ـ رحمه اللَّه ـ:

«أعرف أن ناسًا من الذين يتجرون بالقول، بل بالدين يموهون ويلفون لفهم باسم الدين، ويعتقد بعض الناس أنهم من أهل العلم به؛ لأنهم يتزيون بزيه، ويلهجون بذكر آي القرآن من غير أن يعنوا بفهم مغازيها، وبأحاديث رسول اللَّه ﷺ من غير أن يتعرفوا غاياتها ومراميها أو يتعرفوها ويعرفوها، ثم يلووا بها عن مقاصدها ليًا، لهوى متسلط عليهم، ولكن الدين لا يؤخذ إلا من قلب تقي، وعقل ذكي، وفكر مستقيم، وإخلاص، ولذلك يرفض الناس كل إلحاد في دين اللَّه، أو تحريف للكلم عن مواضعه أو انحراف في فهم مقاصده، ويتجهون إلى حقائقه اتجاهًا مستقيمًا، لا عوج فيه، وكل دعوات هؤلاء في هباء، كصرخة في واد، لا يتردد صداها، إلا للذين صرخوها، ولا يسمعها إلا الذين أصدروها، ويحسبون أن لهم مستمعًا، ولا سميع ولا مجيب[1].

*** الشيخ أبو زهرة يؤدب لويس عوض:**

❑ يقول ـ رحمه اللَّه ـ رادًا على لويس عوض:

---

(١) المصدر السابق (ص١٥٩).

- **الحقائق عندنا لا تضيرها الأحجار:**

في مصر كاتب ليس بمسلم يكتب في صحيفة الأهرام ويكتب كلامًا غير بين، لا يتضح فيه مقصده ولكن يحوم حول مصطلحات أفرنجية، وعبارات لا يتحدد مدلولها، ولا يتميز موضوعها، وأوضحها ما يلمز فيه الإسلام، ويوهن شأنه، ولا نجاريه فنرد الحجر من حيث جاء لأننا نخشى على زجاجه، والحقائق عندنا لا تضيرها الأحجار، ورواميها كناطح الصخر يوهن قرنه ولا يوهنها.

- **لقد تعرض بفضول لأمرين:**

أولهما: أنه قال في لغة ساخرة: «يتمسك أهل القرى بأنهم خير أمة أخرجت للناس»، ويشير بذلك إلى قوله تعالى: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**﴾. ولسنا نطلب منه أدب القول، ولياقته، فإن فاسد الأدب لا يلقنه، وفاسد الذوق لا يعلمه، ولكن نقول أن أمة الإيمان خير أمة أخرجت للناس؛ لأنها تأمر بما هو معروف غير مستنكر عند أهل العقول وتنهى عما تنكره العقول وعن الانحراف وعن تقليد الفاسدين، وتعلم أن كل تغيير ينتهي إلى غير الأخلاق فاسد؛ لأنها تدعو إلى الخير والإيمان، لا إلى الانحراف والشذوذ والكذب والفساد، أو تريدها كأمريكا التي تمد الخائنين، أو تريدها كالانحلال الخلقي في انجلترا وغيرها. إن كنت تريدها كذلك فقد رمت صعبًا، وأردت أمرًا إدًّا فاخسئوا فيها ولا تتكلموا.

الأمر الثاني: أنه ينادي بضرورة الإصلاح الديني في الإسلام، فإذا كان كلامه في الأمر الأول فساد أدب وذوق، فكلامه في هذا الثاني فساد ذوق وفضول وافتراء.

ونسأله ما الباعث على الإصلاح الديني، أهو بيع الغفران، أهو السفاح في دهاليز المعابد، أهو الرشا وابتزاز أموال الناس مما حرك لوثر وكلفين وغيرهما إلى الإصلاح، إنه لا شيء من ذلك وليس في الإسلام شيء منه، أم هو منع الانزلاق في مفاسد الشرق والغرب وانحلاله، إن كان كذلك، فإن ما تدعو هو الفساد، وما يتمسك به رجال العلم الإسلامي هو الصلاح الذي لا ريب فيه[1].

يقول ـ رحمه اللَّه ـ عن الشيوعيين ومحاولة إخفاء نياتهم الخبيثة عن المسلمين: «إن الحق أبلج والباطل لجلج، وإن في قلوب الناس نوراً يستضيئون به، ولهم عقول يدركون بها، وإذا خفي الباطل على بعضهم، فلن يخفى على جُلّهم.

لقد كانت الدعوات الهدامة تعيش في خلايا، وتختفي عن الأعين، ولا يجد الناس لمعرفة كنهها إلا أن أصحابها يسيرون وراء أناس بعداء عنا، دولاً أو جماعات، أو دعايات، وما يعرفه الناس من أمرها لا يكون مكشوفًا، بل يكون في غلس بين الليل المظلم والصبح المنير، وأولئك المختفون يحيطون كلامهم بمعسول من الألفاظ يبثونه في المجالس خفية، فيكون الإخفاء والإبهام سببين للتتبع والتعرف، ومثيرين للرغبة عند ذوي الآفات العقلية؛ ولأن الممنوع متبوع، وأن المحرم يشتهي ويطلب عند أهل النفوس المنحرفة، والقلوب المريضة، والذين قال اللَّه تعالى في أمثالهم: ﴿**فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ**﴾، وكانوا يجمعون الأتباع بالإغراء المالي أحيانًا، وبالنساء أحيانًا، وخب اليهود في ذلك.. وكانت الحسناوات من اليهود وسائل الإغراء يطمعن ولا يشبعن ليأخذن بزمام الشباب

(١) المصدر السابق (ص١٦٠ ـ ١٦١).

ومقاودهم، وليس غرضهم إلا فك المجتمع الإسلامي، والشكائم الدينية والخلقية، ليتم لهم ما يريدون، ولا يريدون بالعرب والمسلمين إلا خبالاً، ولا المبادئ الفاضلة إلا وبالاً، ليستمر استيلاؤهم على الأرض التي اغتصبوها، وليفسدوا الإرادة التي تريد أن تقتلهم.

- **إعلان الباطل!**

ولما بدا الصبح لذي عينين، وأعطاهم أولو الأمر حق الإعلان استعلنوا فانكشفوا، فتبين تخبط، واضطراب، وأقوال تافهة لا يبعث إليها إلا تقليد من غير تفكير، واتباع من غير تدبر، وترديد للقول من غير أن يفهموا مراميه ولا غاياته، وصاروا بالنسبة للأدلة كحاطب ليل، لا يدري أيقع على حطب أم يقع على أفعى».

❑ يقول الشيخ أبو زهرة رادًا على دعواهم بيسارية الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين:

«من أجل أن نصدق قولهم يجب أن يكون محمد قد ألغى الملكية الفردية، ولم يبق إلا الملكية العامة، وأن يكون محمد قد استغنى عن الزكاة بالتوزيع الذي توزعه اليسارية، أن يكون محمد قد اعتبر الشخص وما كسبت يداه ملكًا للدولة ليس له أن يتصرف إلا من طريقها، وأنه ليس للأشخاص من أموالهم إلا ما يكفيهم بالمعروف، وأنه لا ينتقل مال من رجل أو امرأة إلى ذويه بالميراث، وأن ثمرة المال لصاحبها إذا لم تزد عن حاجته، وأنه إذا تجاوزها كانت مكاسبه شركة بطرق مختلفة، ولا تنتقل قط بالميراث، فهل كان محمد كذلك؟ وهل سار الخلفاء من بعده على هذا المنهاج، لقد ادعوا أن أبا بكر وعمر وعليًّا رضي الله عنهم كانوا يساريين، وأن عثمان رضي الله عنه قتل لأنه كان غير يساري، واستثار معاوية رضي الله عنه أصحاب رءوس الأموال على إمام الهدى علي، ذلك قولهم بأفواههم، واللَّه يقول الحق وهو يهدي السبيل.

ونقول في إيضاح أكثر ردًا على مفترياتهم: إن محمدًا ﷺ أثبت الملكية الخاصة، وقرر أنها لا تمس إلا بحقها، فقال عليه الصلاة والسلام: «لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفسه»، ولا تمس الملكية إلا إذا كان ضرر.

● يقول النبي ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار».

وفي حال مسها إذا كان كسبها طيبًا وجب العوض بما لا يقل عن القيمة وقت الاستيلاء عليها، كما قرر مجمع البحوث الإسلامية في مؤتمره الأول.

وأن النبي ﷺ قرر الزكاة، ولم يعتبر التوزيع مانعًا من وجوبها، بل إنها حقيقة التوزيع، وأرسل الولاة في الأقاليم لجمعها من أرباب الأموال، وقدر مقاديرها، في الأبل والبقر والغنم، وفي الأموال السائلة. وجمعها من أصحابه معاذ بن جبل رضي الله عنه، وغيره من كبار أصحاب رسول اللَّه ﷺ.

ولما قبض اللَّه تعالى رسوله إليه، وارتد من ارتد من ضعاف الإيمان من الأعراب، وقاتلهم أبو بكر، حتى أزال شوكتهم قبلوا أن يقيموا الصلاة ولا يعطوا الزكاة فوقف أبو بكر وقفته الصامدة الحاسمة، وقال: واللَّه لو منعوني عقالاً أعطوه رسول اللَّه ﷺ لقاتلتهم عليه، قال رضي الله عنه، مخاطبًا جماهير المسلمين: «واللَّه لو أفردت من جمعكم، لقاتلتهم، حتى أنال مأربًا أو أقتل مقتلاً». وقال قولة جازمة قاطعة: «إما حرب مجلية، وإما سلم مجزية» وما زال بهم، حتى أعطوا الزكاة طوعًا أو كرهًا.

فهل كان محمد ﷺ يساريًا عندما قرر فرضية الزكاة؟ وهل كان أبو بكر رضي الله عنه ومن معه من أصحاب رسول اللَّه ﷺ يساريين عندما تشددوا في الزكاة ذلك التشدد؟ ولا زكاة إلا إذا كانت الملكية الخاصة ثابتة، وأنتم معشر اليساريين تحاربون الزكاة بجدع الأنف، حتى أنه ليقول بعض مجانينكم: «إن الزكاة بقية من بقايا الجاهلية».

وهل كان الإسلام يساريًا عندما فرض الميراث وقرره فريضة محكمة

لا تقبل الترك إلا عند ضلال الأمة، وقد بينه بالتفصيل الذي لا يأتيه الريب، وما بين القرآن أمرًا شرعيًا بيانًا كاملاً كالميراث. ولقد سماه النبي ﷺ نصف العلم، وأوجب تعلم الفرائض، وتعليمها للناس، فقال ﷺ: «**تعلموا الفرائض وعلموها للناس، فإنها نصف العلم، وأول علم ينسى**»، وأكد النبي الكريم تقسيم المواريث، كما قسمها اللَّه تعالى في قرآنه الحكيم فقال: «**إن اللَّه قسم الفرائض، فأعطوا كل ذي حق حقه، ولا وصية لوارث**»، وهكذا بين القرآن الميراث، وحث عليه، وبذلك أكد ملكية الآحاد في حياتهم، وامتدادها لذوي قراباتهم والاتصال بهم من بعد وفاتهم.

ومنع النبي والقرآن الكريم المالك من أن يتصرف في ملكه من بعد وفاته لغير ورثته إلا في دائرة الثلث، وقد اعتبر ذلك صدقة من اللَّه تعالى عليهم؛ لأن المال للورثة بعد الوفاة لا يصح أن يترك عنهم، وقد قال النبي ﷺ: «**إن اللَّه تصدق عليكم بثلث أموالكم في آخر حياتكم، فضعوه حيث شئتم**».

وقد اشتد المرض على أحد الصحابة فذهب النبي ﷺ لعيادته، فسأل النبي، أفأتصدق بكل مالي؟ فقال الرسول الأمين: **لا**. فقال: أبنصفه؟ قال: **لا**، قال: بثلثه ـ قال: **نعم، والثلث كثير إنك إن تترك أولادك أغنياء خير من أن تدعهم فقراء يتكففون الناس**».

وهكذا تقرر الحق في الميراث، فهل اليسارية تقرر الميراث وتعتبر من يحاربه عاصيًا للَّه تعالى محاربًا لفرائض اللَّه تعالى؟ إن كانت كذلك، فليست هي الشيوعية، وإن كانت تعارضه، فليس ذلك هو الإسلام، فاتركوه، واستمروا في غيكم تعمهون. والإسلام في علو دائم، إن شاء اللَّه تعالى، وهو حسبنا ونعم الوكيل»[1].

(١) المصدر السابق (ص١٥٤ ـ ١٥٦).

* أخطر وثيقة للفكر الشيوعي!

نشرت مجلة «كلمة الحق» في إبريل سنة ١٩٦٧ حقيقة الوثيقة التي وضع فيها فلاسفة الفكر الشيوعي الأسس التي يقوم عليها هدم الأديان خاصة الدين الإسلامي.. الذي يمثل العقبة الرئيسية أمام انتشار «أكذوبة الشيوعية» وسوف نقوم بنشر البنود الخاصة بكيفية مهاجمة الدين الإسلامي والقضاء عليه.. وإزاحته من طريق الفكر الشيوعي!!

* تقول الوثيقة:

برغم مرور خمسين سنة تقريبًا على الاشتراكية في الاتحاد السوفيتي وبرغم الضربات العنيفة التي وجهتها أضخم قوة اشتراكية في العالم إلى الإسلام وبرغم القوى اليقظة التي تحارب الدين فإن الإسلام ما يزال يرسل إشعاعًا وما يزال يتفجر قوة بدليل أن ملايينا من الجيل الجديد في المناطق الإسلامية يعتنقون الإسلام ويجاهرون بتعاليمه مع أن الإسلام أخطر الأديان الرجعية، وهو دين جامد حقود على الحضارة والتقدم[1] وخصم عنيد للاشتراكية، وفي خدمة المستغلين والإقطاعيين والرأسماليين ولذلك قررنا:

١ ـ مهادنة الإسلام لتتم الغلبة عليه والمهادنة لأجل أن نضمن السيطرة ونجتذب الشعوب العربية إلى الاشتراكية.

٢ ـ تشويه سمعة علماء الدين والحكام المتدينين واتهامهم بالعمالة للاستعمار والصهيونية.

٣ ـ تعميم دراسة الاشتراكية في جميع مراحل التعليم بجميع المعاهد ومزاحمة الإسلام ومحاصرته.. حتى لا يصبح قوة تهدد الاشتراكية.

---

(١) هذا من وجهة نظر أرباب الفكر الشيوعي وأبسط ما يوصفون به أنهم يستقون تفكيرهم وتشريعهم من قاع المجاري!!.

٤ ـ . . الحيلولة دون قيام حركات دينية في البلاد مهما كان شأنها ضعيفًا، والعمل الدائم بيقظة لمحو أي انبعاث ديني والضرب بعنف لا رحمة فيه لكل من يدعو إلى الدين، ولو أدى إلى الموت وتنفير الناس بالأسلوب الذي لا ينم عن معاداة للإسلام.

٥ ـ تشجيع الكتاب الملحدين وإعطائهم الحرية في مهاجمة الدين والشعور الديني والضمير الديني والتركيز في الأذهان أن الإسلام انتهى عصره ولم يبق منه اليوم إلا العبادات الشكلية.

٦ ـ قطع الروابط الدينية بين الشعوب وإحلال الرابطة الاشتراكية محل الرابطة الإسلامية التي هي أكبر خطر على اشتراكيتنا العلمية.

٧ ـ إن فصم روابط الدين ومحو الدين لا يتمان بهدم المساجد والكنائس؛ لأن الدين يكمن في الضمير، والمطلوب هو هدم الضمير الديني. . بالقصص، والمسرحيات، والمحاضرات، والصحف، والأخبار، والمؤلفات التي تروج للإلحاد وتهزأ بالدين ورجاله، وتدعو للعلم.. «والاشتراكية العلمية» وحدها.

٨ ـ خداع الجماهير. . بأن يزعم لهم أن المسيح اشتراكي فهو فقير من أسرة فقيرة. ومحمد إمام الاشتراكيين. . فهو فقير وأتباعه فقراء وحارب الأغنياء المحتكرين، والإقطاعيين. . وبقدر الإمكان نبعد عن الأنبياء القَداسَات الدينية والروحية لنجعلهم بشرًا عاديين حتى يسهل علينا القضاء على الهالة التي أوجدوها لأنفسهم!!!، وأوجدها لهم أتباعهم المهووسون.

٩ ـ في القرآن والتوراة، والأناجيل. . قصص. . ولئلا نصطدم بشعور الجماهير الديني ونثيرهم على الاشتراكية يجب أن نفسر تلك القصص الدينية تفسيرًا ماديًا اشتراكيًّا لتعبئة الشعور العام ضد الرأسماليين.

١٠ ـ إشغال الجماهير بالشعارات الاشتراكية وعدم ترك الفرصة لهم

للتفكير وإشغالهم بالأناشيد الحماسية والأغاني الوطنية والتنظيمات الحزبية.. والمحاضرات المذهبية والوعود المستمرة برفع الإنتاج، ومستوى المعيشة وإلقاء مسئولية التأخر والانهيار الاقتصادي، والجوع، والفقر، والمرض، على الرجعية والاستعمار والإقطاع ورجال الدين.

١١ ـ الهتاف الدائم ليل نهار بالثورة وأن الثورة هي المنقذ الوحيد للشعوب من حكامها الرجعيين والهتاف للاشتراكية بأنها الجنة الموعود بها جماهير الشعوب الكادحة.

١٢ ـ نشر الأفكار الإلحادية بل نشر كل فكرة تضعف الشعور الديني والعقيدة الدينية وزعزعة الثقة في رجال الدين في كل قطر إسلامي!!

١٣ ـ لا بأس من استخدام الدين لهدم الدين، ولا بأس من أداء الزعماء الاشتراكيين بعض الفرائض الدينية الجماعية للتضليل والخداع على ألا يطول زمن ذلك؛ لأن القوى الثورية يجب ألا تظهر غير ما تبطن إلا بقدر!! ويجب أن تختصر الوقت والطريق لتضرب ضربتها!! فالثورة قبل كل شيء هدم للقديم والمواريث الدينية جميعها!!

١٤ ـ الإعلان بأن الاشتراكيين يؤمنون بالدين الصحيح لا بالدين الزائف، والدين الصحيح هو الاشتراكية، وإلصاق كل عيوب الدراويش وخطايا رجال الدين بالدين نفسه، وأن الخرافة تكمن في الدين الزائف.. لا الدين الصحيح الذي هو الاشتراكية.

١٥ ـ تسمية الإسلام الذي تؤيده الاشتراكية لبلوغ مآربها وتحقيق غاياتها بالدين الصحيح، والدين الثوري، والدين المتطور، ودين المستقبل حتى يتم تجريد الإسلام الذي جاء به محمد من خصائصه ومعالمه، والاحتفاظ منه بالاسم فقط، لأن العرب إلا القليل منهم مسلمون بطبيعتهم.. فليكونوا الآن مسلمين اسمًا اشتراكيين فعلاً.. حتى يذوب الإسلام لفظًا كما ذاب معنى!!

❑ وتؤكد الوثيقة على أن ضرب الإسلام هو المقصود أولاً.. إن لم يكن هو المقصود أولاً وآخرًا. تقول الوثيقة:

١٦ ـ الاهتمام بالإسلام مقصود منه أولاً.. استخدام الإسلام في تحطيم الإسلام.. ثانيًا.. استخدام الإسلام للدخول في شعوب العالم الإسلامي رغم أن القوى الرجعية التي في العالم العربي والإسلامي قوى يقظة!!

*** الشيوعية.. تكشف عن أنصارها!!**

وتفصح الوثيقة عن أسرار رهيبة فتقول:

إن في المحيط العربي كله يعمل أنصارنا بجدّ.. وقد استطاعوا أن يثبوا إلى المناصب الرئيسية في الوزارات والإدارات الحكومية، والشركات، والمؤسسات الرسمية، وغير الرسمية، ووقفوا حسب تعليماتنا للسيطرة التي وإن كانت فردية إلا أن نجاحهم في الوصول إلى تلك المناصب يعد من الأعمال الهامة الناجحة..

ولئن كان من المتعذر جدًا توقيت التحرك الفوري إلا أن التمهيد له ينتهي في وقت غير بعيد.. ويزداد على مر الأيام عدد أنصارنا الذين يتولون المناصب ذات الأثر الفعال في خلق الجو الصالح للتحرك الثوري، وحسب تعليماتنا لهم جعلوا من الوزراء والمسئولين الذين لا يشك في إخلاصهم للنظام الرجعي الحاكم المعادي للاشتراكية واجهة يقفون وراءها ويعملون تحت ستارها ما يريدون. في أمن وطمأنينة. مع اليقظة والحذر، دون أن تحوم حولهم الشكوك لأنهم يتسترون بأولئك المسئولين.

وأنصارنا منبثون في كل الوزارات والإدارات والقطاعات الحكومية والعسكرية والشعبية والرسمية والأهلية، واتسعت دائرة نفوذهم التي تزداد

اتساعًا ويزداد تغلغلهم على مرّ الأيام»[١] .

*** الشيخ أبو زهرة يرد على أوحال عبدالرحمن الشرقاوي شديدة السواد والقتامة في كتاب الشرقاوي «محمد رسول الحرية» وهو يشكك في آيات اللّه وينسب القرآن إلى رسول اللّه ﷺ :**

قدّم الشيخ محمد أبو زهرة تقريرًا إلى المسئولين وسجّل فيه تعمد إساءة الكاتب إلى الرسالة المحمدية وجوهر العقيدة، وبرغم خطورة ما ورد في التقرير لم يلق حظه من النشر في وسائل الإعلام على نطاق واسع ولم يلتفت إليه المسئولون.. وبقى الكتاب المذكور ـ أعلاه ـ متداولاً بالأسواق إلى وقتنا الحاضر وعلى الصفحات التالية نعرض الحقائق التي تعمّد عبدالرحمن الشرقاوي بها الإساءة إلى الرسالة وصاحب الرسالة وذكرها الشيخ أبو زهرة في تقريره[٢] .

وللأمانة التاريخية فإن تقرير الشيخ أبي زهرة أول من حصل عليه الأستاذ محمد نعيم من الشيخ أبي زهرة قبل وفاته، وقد احتفظ به حتى أُتيحت له فرصة نشره في الاعتصام عام ١٩٧٥م وهو الذي قام بتلخيصه على هذا النحو المنشور الآن:

*** اتجاه غير ديني!**

❑ يقول الشيخ أبو زهرة في مستهل تقريره: «أن الكتاب لم يسلم من الخطأ، أو بالأحرى كان له اتجاه غير ديني وفي دراسته فهو ما درس محمدًا

(١) المصدر السابق (ص١٣٨ ـ ١٤١).

(٢) انظر «جيل العمالقة» لأنور الجندي (ص٢٢٦ ـ ٢٤٠)، و«أبو زهرة إمام عصره» (ص١٦٣ ـ ١٧٢).

ﷺ على أنه رسول يوحى إليه، بل على أنه رجل عظيم له آراء اجتماعية، فسرها الكاتب على ما يريد، وقد تكون هذه الكتابة مفيدة لقوم يصغرون من شأن محمد، ويهونون من أمره، فتزيل عنه ما يتوهمون، وتبين أن له شأنًا ومقامًا في تفكيره ومنحاه، وإذا لم تكن الكتابة صادقة من كل الوجوه، فهي في ذاتها تصوير حسن في الجملة لغير المسلمين وفي هذه الحال فقط.

❑ وأما نشر هذه الكتابة بين المسلمين الذين يعرفون مقام النبي ﷺ عند اللَّه، ومقام الرسالة الإلهية التي يحملها النبي ﷺ. والتي هي مصدر علمه، فإنه لا فائدة فيها من جهة، وتوهين للعقيدة الإسلامية من جهة ثانية، وهي غير صادقة من جهة ثالثة وإذا برر نشرها بين غير المسلمين لتقريب نفوسهم من مبادئ محمد، فنشرها بين المؤمنين باعث على الفتنة، ومنفر للقلوب ومضعف للإيمان.

*** لماذا يقتطع جملة من آية؟!**

وإن أول ما يلمحه القارئ من الكتاب بعد استيعابه جملة وتفصيلاً، أن الكاتب يقطع النبي ﷺ عن الوحي، فكل ما كان من النبي من مبادئ وجهاد في سبيلها، إنما هي من عنده، لا بوحي من اللَّه تعالى، وهي به بمقتضى بشريته، لا بمقتضى رسالته، ولعل العنوان الذي اختاره للكتاب مع إردافه بعنوان آخر صغير يشير إلى بشرية النبي ﷺ فقط، وهذا العنوان قوله: ﴿**إنما أنا بشر مثلكم**﴾ فقد اختار هذه الجملة ليعلن أن ما وصل إليه النبي ﷺ من مبادئ جاهد لأجلها، إنما هو صادر عن بشرية كاملة، لا عن نبوة..

ولكي يتم له الاستشهاد اقتطع الجملة اقتطاعًا مما قبلها ومما بعدها، فإن هذه الجملة وردت في نصين من نصوص القرآن الكريم أولهما: في سورة الكهف، وهو قول اللَّه تعالى: ﴿**قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله**

واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحًا ولا يشرك بعبادة ربه أحدًا﴾ - وثانيهما - في سورة فصلت وهو قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾.

ونرى النص الذي اختاره شعار كتابه مقطوعًا عما قبله وما بعده، فما قبله هو قوله تعالى يخاطب النبي ﷺ بقوله: ﴿قل﴾ وهو يصرح بخطاب اللَّه تعالى للنبي ﷺ، وما بعده هو قوله تعالى: ﴿يوحى إلي﴾ وقد أبعده ولم يأت به؛ لأنه لا يتفق مع غرضه؛ لأنه ينفي الوحي عن الحياة المحمدية.

* **الوحي في الغار كان مناميًا:**

وأن القارئ ليسير قليلاً في الكتاب. حتى يجد الكاتب ينفي الخطاب السماوي للرسول، لا يذكر أن جبريل خاطب النبي ﷺ في العيان، فهو يقول عن أول نزول الوحي بالقرآن ما نصه:

«ولكنه في تلك الليلة من رمضان أغفى قليلاً ثم نام، فرأى من يعرض عليه كتابًا ويطلب منه أن يقرأ فقال: ما أنا بقارئ، ولكنه ألح عليه أن يقرأ، فسأله ماذا أقرأ فقال له: اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، وعندما استيقظ من نومه كان يحفظ ما سمعه في النوم، ويستوضح حلمه فيما بينه وبين نفسه، فإذا به هو بين اليقظة والنوم كأنه يسمع صوتًا بعيدًا يقول له: أنت رسول اللَّه وأنا جبريل» (ص٦٨ و٦٩).

وأن تصوير الوحي بالحلم في النوم يخالف ما أجمع عليه المسلمون من أن جبريل كان يخاطب النبي ﷺ بالعيان لا في المنام، نعم قبل ذلك الخطاب بقوله - اقرأ - ونزول سورة القلم، كان الوحي يجيء إليه في رؤيا منامية، حتى أنه كان يرى الرؤيا تجيء في الصحو مثل فلق الصبح

كما صرح البخاري، ولكن لم تكن تعتبر خطابًا من السماء، حتى نزول الوحي ومخاطبة جبريل الأمين الذي تردد ذكره في القرآن الكريم. على أنه رسول اللَّه إلى الذين يصطفيهم من الأنبياء لتبليغ الرسالة الإلهية إلى الأرض.

*** نسبة القرآن إلى النبي:**

وإنه إذ يقطع الرسالة عن الرسول. ويقطع الوحي عنه يتجه إلى القرآن فيذكر عباراته أحيانًا منسوبة إلى النبي ﷺ على أنها من تفكيره ومن قوله، لا أنها قرآن موحى بها، قائله هو اللَّه سبحانه وتعالى وأن ذلك مبثوث في الكتاب بكثرة، ولنضرب على ذلك بعض الأمثلة.

*** إنذاره عشيرته الأقربين:**

ذكر في صفحة ٨٠ ما نصه: «رأى محمد أن يجمع أسرته من بني عبدالمطلب وأن يدعوهم إلى الإيمان بما جاء به فليس أحب إليه من عشيرته الأقربين»، ونراه يذكر ذلك على أنه رأي ارتآه، ويغفل الأمر القرآني الثابت وهو قوله تعالى: ﴿**وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين**﴾.. فنراه في هذا الكلام الذي قاله ينسب كل ما يكون بوحي قرآني إلى أنه رأي رآه النبي ﷺ.

وفي هذا المقام اعترض أبو لهب عم النبي ﷺ، فيذكر ما نصه في ذلك: فاسمع يا أبا لهب اسمع إذن، سمعت الرعد، تبا لك أنت تبا لك سائر يومك وسائر حياتك، تبت يدا أبي لهب وتب (ص٨٣).. فنراه في هذا ينسب إلى النبي قوله تعالى: ﴿**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ**﴾..

وبهذا نرى أنه ينسب هذه السورة إلى النبي ﷺ، لا إلى اللَّه سبحانه وتعالى، ومثل ذلك جاء في (ص٨٧) من الكتاب، ففيها ما نصه: تبًا لها (أي لامرأة أبي لهب) كما تبت يدا أبي لهب وتبت يدا أبي لهب وتب وامرأته حمالة الحطب.

*** القتال في الشهر الحرام:**

❑ يذكر استنكار المشركين لأمر النبي ﷺ بأنه قاتل في الأشهر الحرم، ويذكر الرد على أنه للنبي فيقول في صفحة ١٨٣: «أنها لكبيرة أن يقتل عبداللَّه ـ أي: ابن جحش ـ أحدًا في الشهر الحرام، ولكن الفتنة أكبر من القتل، وصد الناس عن البيت العتيق وإخراج أهله منه أكبر» ـ يذكر هذا الكلام منسوبًا إلى النبي ﷺ على أنه من عنده، مع أنه من القرآن الكريم، واللَّه تعالى يقول: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ**﴾.

*** أسرى بدر:**

❑ استشار النبي ﷺ بعد غزوة بدر أصحابه في شأن الأسرى، فأشار عمر بقتلهم، وأشار أبو بكر بالعفو، وتوسط النبي ﷺ فاختار أن يفتدوا من أهلهم، وقد بين اللَّه سبحانه لنبيه الحكم في أخذه أسرى والمعركة دائمة مستمرة؛ لأنه لا أسرى إلا بعد أن يعجز العدو عن القتال. وقد نزل في ذلك قوله تعالى: ﴿**مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾.

هناك في القضية عمل من النبي ﷺ ولوم وتوجيه من اللَّه، ولكن الكاتب يقول أن النبي بعد تأمل وتدبر قرر خطأ الفداء، وهذا نص كلامه «قد أطلق كثيرًا من الأسرى، ولم يعد ـ أي لم يبق ـ غير القليل، فانقطع يفكر، وخرج على أصحابه يقول: أنه أخطأ هو وأبو بكر حين لم يستمعا لنصيحة عمر، فما كان له أن يترك لقريش أسراها لتستعين بهم على حربه مرة أخرى ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض (ص٢٠٣ ـ ٢٠٤).

وبهذا يتبين أنه يرى أنه هذا ليس وحيًا، ولكنه من تأملات النبي ﷺ، وأن القرآن من عند محمد لا من عند اللَّه..

*** إبطال التبني من النبي؟!**

❑ ينسب إبطال التبني إلى النبي ﷺ، ولا ينسبه إلى اللَّه مع أنه قد حرم التبني بقول اللَّه تعالى في نص قرآني إذ يقول سبحانه: ﴿**وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ۝٤ ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا**﴾.

* ويقول سبحانه: ﴿**مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ**﴾.

فهو يذكر قصة زيد بن حارثة مع زوجه زينب بنت جحش، وشكواه منها وقول النبي له أمسك عليك زوجك ويبين أن الزوجين أصبحا لا يطيقان الاستمرار، ويذكر إشاعة أن النبي ﷺ طمع في جمالها، وما كان للنبي أن يتزوج زوجة متبناه لأنه ابنه، ثم يقول: «ولكن محمدًا خرج يقول لهم:

ان المتبني ليس كالابن تمامًا، فالولد شيء آخر، وأنه إنما تزوج لكي يدركوا هذا ولكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم، فلا حاجة له بجمال زينب، ولديه عائشة وحفصة (ص٢١٦).

فهو في هذا يدعي أن التحريم للتبني من محمد ﷺ، يدعي أن محمدًا تزوج زينب من تلقاء نفسه مع أنه بأمر من اللَّه تعالى في قوله: ﴿**وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا..**﴾.

فنراه ينسب التحريم إلى النبي: وينسب الزواج لرأي ارتآه الرسول مع أنه ثابت بالقرآن ولكنه ينسب القرآن دائمًا إلى النبي ﷺ.

وإنا لنحمد له أنه لم يسر وراء المستشرقين في ادعائهم كما جاء في رواية ضعيفة عن بعض التابعين أن النبي ﷺ فتن بجمال زينب، وكان الطلاق لذلك ـ فله منا التقدير لهذا!!..

* **عبرة أحد:**

❑ ذكر بعد أن قص أخبار موقعة أحد العبر فيها على أنها من قول محمد مع أنها من قول اللَّه تعالى، فهو يقول: «.. وأقبل محمد على الناس يحدثهم عن محنة أحد، ويستخلص العبرة من أخطائهم، عسى أن تضيء التجربة القاسية طريق المستقبل»..

* وأن العبرة في أحد كانت بقول اللَّه تعالى في آيات كثيرة من سورة آل عمران في مثل قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ**

حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

.. ولكنه دائمًا ينسب ما جاء في القرآن إلى النبي ﷺ. مما يدل على أنه يرى أن القرآن من قول النبي، ولم يذكر في الصحيح من السنن أن النبي ﷺ بين العبر في أحد بغير تلاوة القرآن عليهم.

* تقسيم أموال بني النضير:

يذكر أن تقسيم أموال بني النضير كان بقول النبي ﷺ، ويقول في ذلك، قال لهم: «.. إنَّ إخوانكم المهاجرين ليس لهم مال، فإن شئتم، قسمت أموال بني النضير وأموالكم بينكم جميعًا، وإن شئتم أمسكتم أموالكم وقسمت هذه فيهم خاصة».. والحق أنه لا يوجد ذلك التخيير وأن النص القرآني في صريحه يبين هذا، فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

ولكنه كمنهاجه ينسب ما في القرآن دائمًا إلى النبي ﷺ، وزاد هنا مسأله التخيير التي لا نعلم لها مصدرًا تاريخيًّا.. (ص٢٥٥).

*** معاني القرآن وأحكامه ينسبها للنبي:**

وهكذا نجده يذكر كثيرًا من معاني القرآن وينسبها للنبي ﷺ، فهو يذكر سورة (الكافرون) ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝١ لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ على أنها من كلام النبي ﷺ.. (ص١٠٨).

وينسب تحريم الخمر على أنه للنبي ﷺ. ويشير إلى تدرج التحريم في القرآن الكريم.. ويترك الآيات المختلفة الدالة على ذلك..

ويذكر قصص القرآن على أنه نتيجة تجارب النبي ﷺ ويقول في ذلك.. : «وقسم محمد لياليه بين زوجاته الثلاث: سودة، وعائشة، وحفصة، ولكنه مع ذلك كان يجمعهن عند صاحبة النوبة في الصباح ليعظهن وفي المساء ليسمر معهن، ويقص عليهن ما رآه في رحلاته، وكثيرًا من الحكايات والأمثال». وما كان قصص النبي ﷺ إلا من القرآن. وما كانت له رحلات في بلاد العرب. بل إنه لم يخرج من الحجاز إلا مرتين إحداهما وهو في الثانية عشرة. والثانية وهو في الخامسة والعشرين.

*** أين ذكر اللَّه في الكتاب؟!**

ويقول الشيخ أبو زهرة في تقريره: هذه أمثلة سقناها، وإنها لكثيرة في الكتاب، وهي تدل على أنه يرى ـ أي الكاتب ـ أن القرآن من كلام محمد، وفي الحقيقة أنه لم يذكر قط أن اللَّه سبحانه وتعالى منزل القرآن، وباعث محمد بالرسالة، بل إن ذكر اللَّه تعالى يندر في الكتاب بل لا تجد له ذكرًا قط.. ﴿نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾.

*** القرآن من همهمة الرسول؟!**

لم يذكر القرآن إلا نادرًا، بل إنك تقرأ الصفحات الكثيرة التي تبلغ

مائتين أو أكثر فلا تجد ذكرًا لكلمة القرآن الكريم. بل لكلمة القرآن فقط، وأذكر آية ذكر أنها همهمة نفس النبي ﷺ، ولنضرب لذلك مثلاً. لقد ذكر أن النبي ﷺ أذن لبعض الناس بالعودة من حيث خرجوا، وكان ذلك في بعض الغزوات، ثم يقول: فأذن لمن يريد أن يعود إلى بيته أن يعود فهذا خير من أن يبقى في الصفوف ليشيع الانهزام ويثبت في الصفوف من يجد في نفسه القدرة على مواجهة الخطر والرغبة الصادقة في الاستشهاد دفاعًا عما يؤمن به وهمهم لنفسه وهو يتقدم الصفوف «عفا اللَّه عنك لما أذنت لهم»، ولكنه عاد فرأى الخير في تخليص صفوفه من العناصر الخائرة ثم أخذ يتلو عليهم. ﴿**وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَارًا**﴾ ﴿**قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لاَّ تُمَتَّعُونَ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾ (ص٢٨٨).

*** التشكيك في آيات اللَّه:**

فهو يذكر الهمهمة، ثم يقرنها بآية على أنها من همهمته، ثم يتلو آية أخرى غير ناسبها للَّه، ولا لأحد فهي بمقتضى منطقه من همهمته أيضًا، ثم يشير إلى نوع من التشكيك؛ لأن الآيتين يبدو بينهما تعارض مع أن الآيتين مختلفتان من حيث موضع قولهما، فآية ﴿**عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ**﴾ كانت في غزوة تبوك، وقوله: ﴿**وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ**﴾ كانت في غزوة الأحزاب.

وهو لا يذكر كلمة القرآن على أنه منسوب للَّه في مقام يومئ بالتشكيك في صدقه وأقرأ قوله في (ص٣٥٤) بالنسبة للمرتدين الذين قتلوا بعض المؤمنين غدرًا الذين قال فيهم النبي ﷺ: «**يقتلون ولو تعلقوا بأستار الكعبة**»: وكان منهم رجل عهد إليه محمد بكتابة القرآن، ولكن الرجل كان

يغير في القرآن على هواه يمليه محمد وهو السميع العليم فيكتب وهو الخبير الحكيم، ثم يذهب إلى المنافقين في المدينة، ويتندر بما يصنع.. ظل يصنع هذا حتى اكتشف محمد ﷺ أمره فهرب إلى مكة، ويظل يهزأ بمحمد، وبالقرآن، ويؤكد للناس أنه حرف كثيرًا من آياته لم يكتشفها محمد بعد.. وأقرأ قوله في (ص٣٥٦): أما الرجل الذي حرف في القرآن الكريم فيعلن توبته ويحرق النسخة المحرفة أمام الجميع.. وأن هذا البيان التاريخي يوهم، بل يثير أن القرآن فيه تحريف وتبديل، بدليل أن أحد كتاب الوحي قال ذلك، والخبر على هذا الوجه غير صحيح، ذلك أن الرجل كان يكتب الوحي أحيانًا، وما كان للنبي كاتب واحد، بل كان يكتب الوحي من يكون بحضرته عند نزوله ممن يحسنون الكتابة، وعندما يملي عليه النبي ﷺ ما أوحي إليه يقرأه ويحفظه من يكون بحضرته من الصحابة فما كان الرجل ملازمًا له، وما كان الاعتماد على ما يكتب، بل على ما يحفظ.

وما تكونت في عصر النبي ﷺ نسخة مجموعة جمعا نهائيًا، ولكن كان محفوظًا في صدور كثيرين من الصحابة كأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وعلي بن أبي طالب، وغيرهم كثير، فلا يقال أن هناك نسخة كانت محرفة وحرقت، وما جاء ذلك في سياق تاريخي قط، وما قاله أحد قط من علماء الإسلام وأخيرًا أن الردة التي وقع فيها ذلك الرجل ما كانت نتيجة طرد النبي ﷺ له. بل إنه ارتد من تلقاء نفسه، ثم أخذ يشيع هذه الأكاذيب، فما كانت حقيقة، ولكنها ادعاء منه، هو كاذب فيه، فالنبي ﷺ يحفظ ما ينزل عليه، وغيره يحفظه وما كان من المعقول أن يستمر ذلك التحريف دقيقة واحدة.

وأنه عند جمع القرآن في مصحف، أي تكوين نسخة كاملة منه في

عهد الشيخين أبي بكر وعمر كان الاعتماد على الحفظ وكان يبحث عن المكتوب غير المجموع، إذ كانت الكتابة في قطع متناثرة عند الصحابة، فيبين أن المكتوب كما حفظوا فيثبتونه في المصحف.

*** توهين لتواتر القرآن:**

❑ ويضيف الشيخ أبو زهرة في تقريره:

«إن السياق الذي ذكره الكاتب توهين لتواتر القرآن لا يصح أن ينشر بين المؤمنين أو غير المؤمنين فوق أن أصله كاذب في ذاته ثم إنه ليوهن شأن النصوص سواء أكانت قرآنًا أم أحاديث عندما يقرر أن الحكم في الإسلام بالقرآن أو السنة أو الرأي على أنها متساوية، والمسلم مخير بينها، ألا أنها مرتبة، ويقول في ذلك (ص٣٧٥): «.. وفي رأس كل منهم ترسخ نصيحة محمد:» «احكم بالقرآن أو بالسنة أو اجتهد رأيك، والأمر شورى بينكم لا تختلفوا ولا تعلوا في الأرض مفسدين».

*** ينافي الحقائق التاريخية:**

❑ ويستطرد الشيخ أبو زهرة في تقريره قائلاً:

«هذا موقف الكاتب من القرآن ذكرناه مع ضرب الأمثلة من الكتاب، لا نكتب فيه ما لم يكتب بل إننا نسمع البينات من كتابته، فلنتجه بعد ذلك إلى موقفه من النبي الرسول المبعوث من عند اللّه تعالى، فإن الكلام الذي كتبه عنه غير قائم على أسس صادقة، بل على ما ينافي كل الحقائق التاريخية تمامًا، ولنضرب لذلك بعض الأمثال:

● ادعاء خروج النبي إلى اليمن؟

ادعى أن النبي ﷺ سافر إلى اليمن مع عمه الزبير بن عبدالمطلب فقد

جاء في (ص٤٢) ما نصه: «وها هو ذا محمد يضطر إلى أن يشتغل أجيرًا في هذه القوافل ليعيش فما كان يملك الدينارين أو الدينار ويخرج إلى اليمن مع عمه الزبير في رحلة الشتاء..

وهذا ما لم يذكر في الصحاح عن تاريخ النبي ﷺ.. وقد يذكره المستشرقون من غير سند تاريخي، بل بفرض يفرضونه ليتم لهم ما يبتغون من توهين شأن الدعوة الإسلامية بادعاء أن محمدًا ﷺ كان رحالة، وأن ما جاء به نتيجة تجاربه، لا بوحي من ربه..

يسترسل في ادعاء أن محمدًا ﷺ كان رحالة معنيًا بما عند الرومان والفرس. فهو يقول في (ص٦٢): «.. لم تكن الجزيرة العربية وحدها هي التي تعنيه فقد طاف بالشمال والجنوب، وعرف كثيرًا مما حدث في بلاد الفرس والروم وفكر في هذا كله، ففي كل مكان يهدد الإنسان، ويسيطر الغيظ أحيانًا حتى لتمتد يد المرأة الحنون إلى قلب خصمها بعد أن يقتل: فتأكل منه القلب، وتلعق الدم، وما زال الملاك الكبار في بلاد الروم يصنعون بالرجال والنساء ما يصنعه المرابون التجار الكبار في مكة، والرؤساء والدهاقون في بلاد الفرس وهنا وهناك يقضي على الإنسان ما يقضي باسم قوى الخفاء التي لا تقاوم ولا ترد، وهي قوى لا تشبع من الضعفاء وتقتات بالهوان..

● **ادعاءات من خيال المستشرقين:**

ولا يهمنا من هذا الكلام إلا ما فيه من ادعاء أن النبي ﷺ قد جاب البلاد العربية شمالاً وجنوبًا، وأنه كان معنيًا بمعرفة ما عند الرومان والفرس، وأن ذلك كله لا يوجد ما يدل عليه في التاريخ الإسلامي، والمصادر الصحيحة بل لا يوجد شيء من هذا في أي مصدر عربي قديم، ولكنه خيال المستشرقين لحاجة في أنفسهم.

● **هل كتب النبي بيده؟!**

يذكر أن النبي ﷺ تعلم الكتابة من ملاحظته للحروف. وهذا نص قوله في (ص٣١٣): «.. فتناول محمد الصحيفة من علي ومحا ما كتبه علي، وكتب هو ديباجتها، كما أراد مندوب قريش، كانت هذه أول مرة يكتب فيها بعد أن تعود ملاحظة الحروف من طول ما أملى كتبة القرآن». وأن هذا تزيد في الروايات، فإن الثابت أن عليًا لما امتنع عن حذف كلمة رسول اللَّه أو محوها، مد رسول اللَّه ﷺ يده، ومحاها بنفسه، وأتم علي بقية الكتاب، ولم يكتب محمد بيده شيئًا..

● **ثلاث دعاوى باطلة:**

يذكر أن محمدًا ﷺ قد سحر، فيقول في ذلك في (ص١٧٩): «.. ورأت اليهود موجة نشاط جديدة تهز القلوب فعادت تكيد، وكان من رجال يهود ونسائها من يقوم بأعمال السحر، وللسحر إذ ذاك سلطان مخيف على بعض العقول، وضعت امرأة يهودية سحرًا يقعده عن الخروج ويمنعه من النساء، ولقد ضاق هو بهذا السحر ولكنه تحداه، وخرج يقود إحدى الرايات وعاد إلى المدينة ساخرًا بهذا السحر، غير أنه امتنع عن النساء فأما سودة الزوجة الكهلة فقد صبرت للأمر عدة شهور، وأما عائشة زوجته الجديدة الشابة فقد احتملت هذه الشهور ثم طالبته أن يصنع شيئًا يبطل به هذا السحر، وكان هو يدللها ويصطفيها ويتركها تتكئ بذقنها على كتفه أمام الناس، وشعرها يلمس خده، وهي ترى معه ألعاب الأحابيش في ساحة المسجد..».

وأن هذا الكلام فيه ادعاءات ثلاثة ـ أولها: أنه سحر. وثانيها: أن ذلك أثر في قوته التناسلية. ثالثها: أنه كان يدلل زوجته أمام الناس، وهذه دعاوى باطلة، أما السحر فقد ذكر في بعض الروايات، ولكن الثقات والمحققين من

العلماء ردوها.. وثبت بالدليل القاطع بطلانها[1] ولو أن بعض الثقات قد أدخلت عليه، وأن المستشرقين يطيلون في ذكرها توهينًا لشأن الدعوة الإسلامية وأما أنه أثر في قوته التناسلية فهي مبنية على تأثره بالسحر، وقد ثبت بطلانها على أن أكثر الرواة لايذكرونها، وأما تدليله لزوجه أمام الناس، فذلك لم يصح إنما الذي صح أنها كانت تنظر إلى ألعاب الاحابيش وتتطلع من فوق منكبه وهو جالس.

● نزعة مسيحية:

نجده في مواضع كثيرة يذكر أن النبي ﷺ يُنادي بيا ولدي ولا يذكر من المنادي، فقد جاء في (ص٤٩) ما نصه: «.. غريب أنت يا ولدي في هذا التيه الذي يتنفس باللعنة والأكذوبة ـ والمنكر. شارد. حزين، لا تنفك تتأمل في السموات والأرض ووجوه الرجال والنساء والأطفال، ما تكاد تضحك مستمتعًا بحياتك الجديدة المطمئنة مع المرأة الجميلة التقية الحكيمة التي اختارتك للحياة».

ولا ندري من الذي يناديه ذلك النداء وقد تكرر ذلك في عدة مواضع، فقد جاء في (ص١٣٤) ما نصه:

«.. طريد أنت يا ولدي. مسكين معذب كالمبشرين الأوائل» فمن الذي ينادي هذا النداء؟ إن الذي يمكننا أن نفسر به ذلك هو أن هذه نزعة مسيحية،

(١) غفر الله لأبي زهرة.. فأحاديث سحر النبي ﷺ ثابتة ولم يردها الثقات من الحفاظ والمحدثين كما يقول، وليس فيها ما ينافي العصمة.. وإنما جرى أبو زهرة في هذا على نسق المدرسة العقلية الحديثة.. كما أنه يعاب عليه موقفه من دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وما أورده في ترجمته لشيخ الإسلام ابن تيمية وموقفه من السلفية.. ونحن ننظر إلى الرجال كل الرجال مهما علا شأنهم من منظور سلفي بحت.. فما وافقوا فيه مذهب السلف شكرنا لهم ذلك وأخذناه، وما حادوا فيه عن منهج السلف رددناه عليه وذممناه.

كما يجري على ألسنة المسيحيين أبونا الذي في السماء، وإنه يصح أن يكون ذلك صوت اللَّه يناديه في زعم الكاتب، ولكن لا أحد في الدنيا يصح أن يكون ولدًا للَّه تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾.

● خيال روائي:

هذا موقف الكتاب من القرآن، والنبي ﷺ، بالإضافة إلى الخيال الروائي الذي يفتقر إلى الصدق التاريخي في بعض الروايات عن حمزة وغيره.. والكتاب في الجملة يسيء إلى الناس في دينهم.

وختم الشيخ أبو زهرة رحمة اللَّه عليه تقريره بطلب منع تداول الكتاب لأنه يسيء إلى الناس في دينهم.

* رد الشيخ أبي زهرة على مشروع وزارة الشئون الاجتماعية في الأسرة:

كتب فضيلة الشيخ محمد أحمد أبو زهرة رادًّا على وزارة الشئون الاجتماعية في مشروع الأسرة الخاص بتقييد الطلاق وتقييد تعدد الزوجات وأفحم الأقزام:

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

١ ـ للَّه تعالى الحمد، وعلى نبيه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

وبعد: فقد اطلع مجمع البحوث الإسلامية على المشروع الذي اقترحته لجنة ألفت لوزارة الشئون الاجتماعية ورأستها السيدة الدكتورة عائشة راتب ـ وزيرة هذه الوزارة:

وقد نشرت بعض فقرات المشروع الخاصة بتقييد الطلاق، وتقييد تعدد الزوجات، وهاج لذلك الرأي العام المسلم، وتنادى الناس بوجوب أن يقول علماء المسلمين كلمتهم في هذا المشروع، وعدوه بدعًا في الإسلام يجب

رده، أو تجب دراسته، لا أن يذهب إلى دار النيابة عن الأمة في غيبة من رأي علماء المسلمين، وطالب مجمع البحوث الإسلامية من الجهات المختصة أن يرسل المشروع إليه ليدرسه، فإن كان خيرًا لا يخالف المبادئ المقررة أقره، وإن كان غير ذلك رده شاكرًا للذين مكنوه من الدراسة.

وجاء المشروع إلى المجمع، فألف لجنة من أعضائه لدراسته.

وانتهت اللجنة من دراستها إلى أمرين:

أولهما: مخالفته للنصوص القرآنية والأحاديث النبوية والإجماع الذي انعقد في عهد الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم من أئمة الدين، وذلك في تقييد الطلاق أو منعه، وتقييد تعدد الزوجات أو منعه، ومخالفته للفقه الإسلامي بإجماع فقهائه في مسألة الولاية وحد سن الزواج، كما كان مخالفًا للمصلحة الاجتماعية.

ثانيهما: أن الموازنة التي قامت بها اللجنة في الموضوعات التي تعرض لها مشروع وزارة الشئون الاجتماعية وتعرض لها مشروع اللجنة التي قامت بدراسة الأسرة، ووضعت مشروعًا عامًا في كل أحكامها، انتهت بترجيح ما كان في المشروع العام إلا في بعض عبارات.

ومهما يكن: فقد كانت الموازنة في أمور جزئية تكون موضع دراسة عند عرض المشروع العام ليكون قانونًا.

*** المخالفات الصريحة للقرآن والسنة:**

٢ ـ خالف مشروع وزارة الشئون الاجتماعية النصوص والإجماع في أمرين:

الأول: الطلاق.

الثاني: تعدد الزوجات.

* الطلاق:

فبالنسبة للطلاق: صرح القرآن بجوازه، ولم يذكر قيوداً له إلا قيوداً نفسية لكي يقع الطلاق في حال القصد إليه عن عزيمة وإرادة جازمة، ولا يقع تحت تأثير حال عارضة غير دائمة، بل يقع عند قصد الفراق، والأساس أن الطلاق يقع بإرادة الزوج.

* وقد صرح القرآن بجواز الطلاق في مثل قوله تعالى: ﴿لا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ﴾ [البقرة: ٢٣٦].

* وقال تعالى عند احتدام الخلاف بين الزوجين: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلاًّ مِّن سَعَتِهِ﴾ [النساء: ١٣٠].

* وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ [الطلاق: ١].

وهكذا: نجد الكثير من آيات اللَّه تعالى يجيز الطلاق مقيداً بقيود يلاحظها المطلق في نفسه، لكيلا يظلم أحداً، فهي قيود دينية خلقية، لا يمكن أن يجري فيها تحقيق القضاء، الذي يكون في الأمور البينة الظاهرة، ولا يكون في الأمور النفسية الخلقية، إذ ذلك يكون لحكم الدين وقانون الأخلاق.

وأن النبي ﷺ قد طلق، وطلق أصحابه الذين عاينوا وشاهدوا، وتلقوا علم النبوة عن الرسول المبعوث رحمة للعالمين.

وانعقد الإجماع من لدن عصر النبي ﷺ إلى عصرنا، إلى أن جاء عصر الذين يريدون إخضاع أحكام الإسلام لأنظارهم، سواء أكانت مستقيمة أم كانت منحرفة، وإن جواز الطلاق أمر معروف من الدين بالضرورة.

٣ ـ وقد جعلته اللجنة التي ألفت بوزارة الشئون الاجتماعية ورأستها السيدة الوزيرة لا يقع إلا أمام القاضي وبإشهاد يصدره بعد عرض التحكيم أو الإصلاح بنفسه.

وإذا أوقع الطلاق بغير هذا الطريق يقع الطلاق، إذا استوفى شروطه الشرعية، ولكن يعاقب بحبس أو بغرامة مائة جنيه، أو بهما معًا.

ولو أخذ بهذا المشروع لأدى ـ لا محالة ـ إلى أمرين مخالفين لنصوص الدين أو الإجماع.

الأمر الأول: أنه زيادة في الشرع في أمر لم يأت الشرع بهذه الزيادة، فلم يشترط القرآن ولا السنة أن يكون أمام القاضي، وكان النبي ﷺ والصحابة والتابعون والفقهاء أجمعون، بل المسلمون أجمعون يطلقون من غير أن يلجأوا إلى القاضي ليقع الطلاق بين يديه.

الأمر الثاني: أنه منع الطلاق، ووضع عقوبة عليه، ومعنى العقاب عليه: أن يكون فيه إثم يستوجب العقاب وتلك مناهضة لإباحة القرآن والسنة والإجماع للطلاق، فبينما يقول اللَّه تعالى: ﴿**لا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ**﴾. يقول هذا المشروع: لا، بل عليه عقاب صارم.

❑ فهل تكون مصادمة للنصوص المقدسة، وإجماع المسلمين أكبر من هذه المصادمة؟

وأن ذلك فيه ضرر كبير على الأسرة؛ لأن شئون الأسرة بحكم الدين يجب أن تكون مستورة بستر اللَّه تعالى، وفي ظل حكمه الرحيم العادل،

يُحكي: أن قتادة طلق امرأته، فقال له بعض الناس: لم طلقت امرأتك؟ فقال: «إن المؤمن لا يفشي سر أهله».

وإذا كان الطلاق أمام القاضي بإشهاد يصدره، فإنه سيبحث عن بواعثه، وقد يكون من البواعث ـ وذلك كثير ـ ما يضر إعلانه في مجلس القضاء سرًّا أو علانية، كأن يكون ذلك من ريبة بينهما، وإذا أعلن ذلك أضر الزوجة والأولاد، ومن يتصلون بالأسرة من آباء وإخوة، وقد يكون فضيحة، لا تقف عند حد، وأن القرآن الكريم قد لاحظ ذلك. ولهذا عندما أجاز تحكيم الحكمين اشترط: أن يكونا من أهله وأهلها، فقال تعالى: ﴿**وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا**﴾ [النساء: ٣٥].

هذا: وإن العقاب على الطلاق قد يؤدي إلى ضرر شديد بالمرأة، أو استباحة لما حرم اللَّه تعالى، فيعيش معها على بغض وكراهية، وتصير معلقة: لا هي زوجة تأخذ حقوق الزوجية، ولا مطلقة يغنيها اللَّه من سعته وقد يستبيح ما حرم اللَّه أو يتزوج زواجًا غير مسجل، فلا تتقرر حقوق الثانية، كما ضاعت حقوق الأولى، وذلك الحرمان للأولى لا يحله اللَّه تعالى، كما قال تعالى: ﴿**وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ**﴾.

ولهذا: نجد المنع الحرام الذي قررته لجنة الشئون الاجتماعية برئاسة وزيرتها يؤدي إلى الوقوع في حرام وضرر بالمرأة، والوقوع في المحرمات.

٤ ـ وما الذي أدى بوزارة الشئون الاجتماعية إلى الوقوع في ذلك؟ نذكر ما تذكره.

قالت اللجنة: إن الطلاق قد كثر كثرة فادحة فنسبة الطلاق إلى الزواج ٢٥٪، أي ربع عدد الزواج، فتتفرق الأسرة، وتتشتت، ومن الواجب وضع حدود له.

* ذلك قولهم بأفواههم:

❑ لنفكر فيه ونقرر ما يأتي:

أولاً: أن نسبة عدد الطلاق إلى عدد الزواج ٢٣٪ على حسب إحصائية سنة ١٩٦٠، وأن هذا الإحصاء مأخوذ من دفاتر الموثقين الذين يوثقون الطلاق قبل الدخول مطلقًا، سواء أكان قبل الدخول، أم كان رجعيًا، أم كان بائنًا بتراضي الطرفين، وما يكون الزواج قد استؤنف بعد.

ثانيًا: أنه ليس كل طلاق يخرب الأسرة.

ثالثًا: أن الطلاق الذي يكون بحكم القاضي في أمريكا وأوربا نسبته أكبر من هذه النسبة بكثير، وذلك لانحلال الأسرة هناك، ولنضرب عن هذا صفحًا؛ لأن أسرتنا الإسلامية لا تزال ـ بعون اللَّه تعالى ـ أشد الأسر في العالم تماسكًا.

ولننظر في الأمر الثاني وهو الذي تركته وزارة الشئون الاجتماعية، لا نقول: إهمالاً أو جهلاً، ولكن نقول: نسيانًا.

وهو: أنه ليس كل طلاق يفرق الأسرة، فيفرق ما بين الآباء والأمهات والأولاد، فيجب عند دراسة الطلاق الممزق للأسرة، المضيع للأولاد، أن نفرق بين الطلاق قبل الدخول فإنه لا يفرق بين الأسرة، بل إنه يحمي المجتمع من أن تتكون الأسرة على أساس غير سليم، تحمل في تكوينها أسباب انحلالها.

ولا نفرق بين طلاق رجعي، وطلاق بائن، ولا بين طلاق بتراضي الطرفين، وافتداء المرأة نفسها بمال، وطلاق بغير رضا المرأة.

وإنه إذا استنزل من عدد الطلاق عدد الطلاق قبل الدخول، وعدد الرجعات، فإن الطلاق الرجعي إنذار بالافتراق، وليس افتراقًا إلا بعد انتهاء

العدة، وإذا استنزل أيضًا عدد الطلاق بتراضي الطرفين، كما يستنزل من عدد الزواج، الزواج بين مطلق ومطلقة، فإنه إعادة للحياة الزوجية بعد الطلاق فلا تفريق إذا استنزل هذا من الزواج واستنزل ذلك من الطلاق لا تصل نسبته إلى ٢٪ وكثيرًا ما تكون فيها الإساءة من جانب الزوجة، وقد يكون لريبة بينهما.

ذلك هو النظر الحق إلى الطلاق، وهو تقدير العزيز العليم.

*** تعدد الزوجات:**

٥ ـ ولننتقل إلى تعدد الزوجات، وإنا نرى تقييده أو منعه مصادمة لنصوص القرآن، والمأثور في السنة، وإجماع الصحابة ومن بعدهم: التابعين والأئمة المجتهدين بل إجماع المسلمين من عصر النبي ﷺ إلى أن كان في أيامنًا من يريدون إخضاع الإسلام لأنظارهم.

جاء في مشروع اللجنة التي ألفت برياسة السيدة وزيرة الشئون الاجتماعية أنه: لا يجوز لمتزوج أن يوثق زواجه بأخرى إلا بإذن من المحكمة المختصة، ولا تأذن المحكمة إلا بعد التحري والتحقيق من توافر المبرر الشرعي، والقدرة على القيام بحسن المعاشرة والإنفاق، ولا تسمع دعوى الزوجية إذا تم خلاف ما تقدم.

وقررت: عقوبة الحبس وبغرامة مائة جنيه، أو بإحداهما علي من يتزوج بغير هذا الإجراء.

كما قررت: العقوبة على الذين يدلون بمعلومات يثبت عدم صحتها، ويترتب عليها التوثيق. وكذلك قررت: العقوبة على الموثق الذي يوثق من غير أن يكون لديه إذن من القاضي.

❑ ولننظر في المشروع وفيما يتعلق بهذا الجزء منه من ناحيتين:

الناحية الأولى: الشرعية في الإسلام، فنقول: إن اللَّه تعالى أباح

التعدد، وقيده بعدد معين، مخالفًا بذلك شريعة التوراة، التي لم تنص على عدد، وقيده بعض الأحبار بثماني عشرة، فقال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلاَّ تَعُولُوا﴾ [النساء: ٣]. أي لا تظلموا؛ لأن عال كقال معناها ظلم.

أباح اللَّه تعالى التعدد إلى أربع، والنبي ﷺ عدد لأكثر من ذلك خاصة له، من دون المؤمنين، لأسباب: اجتماعية وسياسية.

وأجمع على الإباحة بهذا العدد: الصحابة الذين تلقوا علم النبوة من النبي كما أجمع التابعون الذين تلقوا علم الصحابة أو الأئمة المجتهدون من بعدهم بل أجمع المسلمون كما ذكرنا.

ويكون المنع بهذا فيه مصادمة لنص القرآن، وسنة النبي ﷺ والصحابة وإجماع المسلمين، وأنه بدعة في الدين، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

والناحية الثانية: ما اشترطه نص المشروع لإصدار الإذن فقد قال: لا تأذن المحكمة إلا بعد التحري والتحقيق من توافر المبرر الشرعي، والقيام بحسن المعاشرة والإنفاق.

هذا نص مبهم، لا يصلح أن يكون مادة في قانون يطبق فما هي المبررات المسوغة للتعدد؟ فهل يكون منها حال ما إذا كان بينهما ما يوجب تصحيح الوضع بعقد شرعي رسمي، وهل يكون من مصلحة المرأة المنع من ذلك؟ ومهما يكن فإن اللفظ مبهم لا يكون في قانون يطبق.

وكيف يتحقق القيام بالعشرة الزوجية وكيف يكون تحقيقه، وأن يكون على الدوام، هل تفتش القلوب، وتتعرف على النيات في الحاضر والقابل!!

إن ذلك أمر غير ممكن، والمقصود بوضع هذا الكلام المبهم: المنع المطلق

وهذا مصادمة واضحة صريحة للنصوص والإجماع.

٦ ـ ولقد وضعت عقوبة لأمر أباحه اللَّه تعالى: فاللَّه تعالى يقول: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء: ٣]. ووزارة الشئون الاجتماعية بلجنتها الموقرة، تقول: إذا نكحتم ما طاب مثنى أو ثلاث فالحبس والغرامة مائة جنيه.

لقد قال كاتب اجتماعي في آخر القرن الماضي ورددوا قوله إن شرط الإباحة العدالة، واللَّه تعالى بين في آية أخرى استحالتها فقال تعالى: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ [النساء: ١٢٩].

❑ ونقول: إن العدالة المادية هي المطلوبة وهي المساواة في المسكن والملبس والمبيت.. أما العدالة المنفية فهي العدالة في المحبة القلبية، ولم يطالب بها اللَّه تعالى، لأنها ليست في الملك التي يجري بها التكليف، فسبحان مقلب القلوب، ولذلك عقب النفي بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ فمعنى ذلك أنه غير مطلوب هذه العدالة، بل المطلوب ألا تهمل إحداهما.

● ولقد قال النبي ﷺ عند قسمه بين زوجاته: «**اللَّهم هذا قسمي فيما أملك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا أملك**».

٧ ـ وأخيرًا: إن هذا المنع فيه ضرر للمرأة مع مصادمته لأوامر الشرع، وإجماع المسلمين، وفيه تدخل في حرية التعاقد، وفيه فساد للمجتمع الإسلامي.

إن الأصل في العقود الاختيار، ومن غير رقابة من الدولة إلا أن يكون مخالفًا للنظام العام، وإن تعدد الزوجات لا يمكن أن يكون في دولة دينها الرسمي الإسلام مخالفًا للنظام العام، بل إن منعه هو المخالف للنظام العام.

وإن مشروع وزارة الشئون الاجتماعية تقييد لحرية المرأة والرجل معًا، وكل تقييد للحرية ظلم في ذاته إلا أن يكون له مبرر من دين أو خلق.

وإنه قد يكون في المنع مضرة بالمرأة؛ لأنه قد يكون تصحيحًا لوضع وقع إثمًا وربما لا تجد المرأة زواجًا إلا مع زوجة أخرى فتنالها عند المنع مضرة الحرمان والعنوسة.

وإن منع التعدد يترتب عليه انحلال اجتماعي، فتتعدد الخلائل بدل تعدد الحلائل كما هو الآن في أوروبا وأمريكا، التي لا تتعدد فيها الزوجات، ولكن تتعدد الخليلات، وبذلك ينحل المجتمع ويعم الفساد.

٨ ـ ولماذا كانت مخالفة الشرع الإسلامي بنصوصه وآثاره والإجماع؟ قالوا: لأن التعدد تفاقم أمره وكان التعدد لغير المقصد الشرعي، ولكثرة التشرد.

❑ ونقول: إن التعدد قد أخذ يقل من تلقاء نفسه، فقد كان الإحصاء سنة ١٩٥١ عقب الحرب العالمية بلغ نحو ٤,٥٪ وإحصاء سنة ١٩٦٠ دل على أن النسبة هبطت إلى ١,٠٤٪ والمجتمع يعالج نفسه، والعلاج بقانون ولو لم تكن فيه مصادمة الشريعة ـ لا يصح إلا لضرورة؛ ولأنه لو وضع التوثيق الرسمي لعقود الزواج لأدى ذلك إلى أن نعقد العقود التي لا توثق وفيها ضياع حقوق المرأة، وحقوق الأولاد. فيؤدي القانون إلى عكس مقصده وإن التقنين حيث يكون فيه تقييد للحرية كالدواء لا يُعطى إلا إذا عجز الجسم عن أن يستمد علاجه من حيويته.

وجسم الآفة لم يعجز عن علاج التعدد وإن لم يكن داء؛ لأنه شريعة اللَّه، ولا يمكن أن تكون شريعة اللَّه تعالى داء، إنها شفاء ورحمة للمؤمنين.

وقالوا: إن التعدد في الماضي كان لمقاصد شرعية، والتعدد الآن لأجل الشهوة ولم يبينوا ما المقاصد الشرعية القديمة؟ ونعفيهم من الجواب.

ونقول لهم: إذا كان التعدد للشهوة فإن هذا لا يوجب المنع ولا يسوغه؛ لأنه إذا كان للشهوة فإن وضعها في حلال خير، وحلال في تعدد خير من حرام مؤكد، فإذا سيطرت الشهوة فإن ذلك أدعى لبقاء الإباحة لا المنع.

وقالوا: إن التعدد يفتح باب التشرد.

ونقول: إن التشرد ليس سببه التعدد، أو الطلاق، إنما سببه ضعف الولاية على النفس وضعف الرقابة على الأولياء.

وقد ثبت بالإحصاء أن التشرد في أكبر البلاد الأوربية أكثر عددًا من التشرد في البلاد الإسلامية ولكن هنالك يُؤوَى المتشردون.

وأخيرًا إن التعدد دواء وليس بداء.

*** زيادة السن:**

٩ ـ وأنه جاء بمشروع وزارة الشئون الاجتماعية، ويزيد سن الزواج، فيجعله بالنسبة للزوجة ثماني عشرة سنة بدل ست عشرة، ويجعله للزوج إحدى وعشرين سنة، وأن ذلك يؤدي إلى الفساد وهو شاذ في ذاته.

أولاً: لأن جعل الحد الأدنى لسن الزواج ست عشرة للفتاة، وثمانية عشرة للفتى هو أعلى حد أدنى في العالم كله فبعض البلاد لا يحدد سنًا، وبعضها يحدده بثلاث عشرة.

ثانيًا: أنه في هذا الوقت الذي شاع فيه الكلام في الحب في الإذاعة المرئية وغير المرئية والصحف والمجلات والروايات يجب إطفاء نوازع الشهوة بالحلال سريعًا ولا يجوز الإبطاء أو المنع.

ثالثًا: أن الشائع في القرى وبين العمال المسارعة إلى تزويج بناتهم وأبنائهم، وكل قانون يجب أن يكون متلاقيًا مع رغبات الشعب وشعوره العام، ولا يكون مصادمًا له، ولا يكون مضيقًا للحرية من غير باعث على

ذلك وإلا كان ظلمًا.

رابعًا: أنه تبتدئ خطبة الفتاة من الخامسة عشرة، وكان يجب أن يكون ذلك الحد الأدنى لسن الزواج، فإذا جاءت الخطبة مثلاً في السابعة عشرة، ورد للسن كان في ذلك فوات الكفء، والنبي ﷺ يقول: «**إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه، فزوجوه ـ إلا تفعلوه تكن فتنة وفساد كبير**».

*** الولاية على النفس:**

١٠ ـ يلاحظ على مشروع لجنة الأحوال الشخصية في الولاية على النفس والحضانة أنه راعى جانب المرأة، ونسي حق الرجل في تربية أولاده والقيام عليهم، وهو المولود له والمنسوبون إليه، وفوضوا للأم كل شيء، ونسوا قوله تعالى: ﴿**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ**﴾ [النساء: ٣٤].

وجعلوا للأم حق الولاية على النفس وقدموها على الإخوة الأشقاء، أو الأب، وخالفوا بذلك قول الفقهاء أجمعين إذ لم يجعل من هؤلاء ولاية لها مع وجود العصبات وهم الذين يستطيعون الإشراف على أخيهم أو أختهم، وفي ذلك مخالفة لقول النبي ﷺ: «**الولاية إلى العصبات**».

ولم يوافق على أن يكون للأم ولاية إلا أبو حنيفة إذا لم يكن عصبات قط.

هذا: وفي مشروع وزارة الشئون تعرض لمسائل جزئية تنظر عندما ينظر المشروع العام الذي انتهت من وضعه لجنة من كبار العلماء سنة ١٩٦٥م.

محمد أحمد أبو زهرة

أستاذ الشريعة الإسلامية بكليات الحقوق

وعضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر[1]

---

(١) «أبو زهرة وقضايا عصره» (٣/ ٢١٢ ـ ٢٢٠).

❑ لقد أولى الشيخ أبو زهرة الأسرة المسلمة بكبير اهتمامه، وتعد قضايا الأسرة من القضايا الرئيسية التي تعرّض للدفاع عنها في صدر حياته وحتى قبل وفاته بأيام.

وكانت الدعوة إلى تقييد الطلاق، وتقييد تعدد الزوجات التي قُبرت عام ١٩٢٦ ثم أعيدت في سنة ١٩٤٣ واستنكرها العلماء ومن ورائهم الشعب فقبرت مرة ثانية، ثم نُشرت من القبر عام ١٩٤٥ على يد شيخ الأزهر مصطفى المراغي فتصدى له الشيخ محمد أبو زهرة، حتى أن المراغي أرسل إلى وزارة الشئون الاجتماعية ـ آنذاك ـ يقول برجوعه عن رأيه ««وأن التقييد لا يؤدي إلى خير» كما جاء على لسانه.

تصدى الشيخ محمد أبو زهرة لهذه الدعوة وكان وقتها أستاذًا مساعدًا للشريعة في كلية الحقوق جامعة القاهرة وأوصل رأيه إلى وزير الشئون الاجتماعية في تلك الفترة ـ المهندس عبدالمجيد بدر باشا ـ وأطلعه على بحث قد كتبه بـ «مشروع القانون الخاص بتقييد الطلاق، وتعدد الزوجات» وعندما قرأ الوزير هذا البحث القيم والجاد، وافق الشيخ على رأيه، وكتب له خطابًا بهذا المعنى اتخذه الشيخ أبو زهرة كوثيقة يظهره عندما يستدعي الأمر إظهاره.

*** هجومه على تنظيم الأسرة وتنظيم النسل أو تحديده:**

❑ يقول الشيخ أبو زهرة: «إن النسل في ذاته ثروة، وإن أعلى مصادر الثروة هو القوى البشرية، وهناك أمم كسويسرا لا تعتمد في مصادرها إلا على مهارة سكانها، ومثلها كثير من الأمم، فهل نريد أن نحرم أنفسنا هذه القوى العاملة، وهي أغلى الثروات في الوجود، وأثمنها وأغلاها، ومثلنا كمثل من يكون في يده كنز من الذهب لا يستطيع أن يتخذ منه نقدًا أو حليًا، أو ما ينفع الناس في الأرض فيلقيه في البحر، ليتخلص من أعباء صناعته أو الانتفاع به!!».

❑ ولكي نكشف كل ما هو زيف أو ادعاء، ونرى الحقيقة كفلق الصبح.. نتصفح معًا هذا البحث الوجيز الذي ألقاه الإمام أبو زهرة في مجمع البحوث الإسلامية في الخمسينات، ولم يلق الحظ الوافر من إعلامنا ليعرّف به الناس.

❑ يقول فضيلته:

«أثير هذا الموضوع تحت عناوين متعددة كتنظيم الأسرة، وتنظيم النسل، أو ضبط النسل، أو تحديد النسل، ألفاظ مترادفة في المؤدى كما يقصد الكتّاب فيها، وكما يقصد الذين يقومون بالعمل في تنفيذها بوزارة الشئون الاجتماعية ووزارة الصحة في مصر، فإن الذين يفعلون ذلك، والذين يروجون ويرددون أن النسل يتزايد، ويتكاثر، وقد ضاقت الموارد الطبيعية، وأصبح ما تنتجه تلك الموارد لا تتكافأ مع زيادة السكان المستمرة بنسبة عالية، فلا بد من وقف ذلك النمو المتزايد، وذلك بجعل النسل على قدر ما يجيء من الموارد الطبيعية، ذلك قولهم بأفواههم، ومقالاتهم بأقلامهم، ولا شك أن كلمة تحديد النسل تكون أدل على المراد، ولكنهم بدلوا بها غيرها، ليخففوا على المسلمين المتدينين وقعها، ولكن تغيير اللفظ لا يجعل الحلال حرامًا، ولا الممنوع مطلوبًا.

❑ وأن الدعاية لتحديد النسل ظهرت في البلاد الإسلامية من مصادر أوروبية وأمريكية، ولم تفرق بين بلد ذات موارد كثيرة، وأخرى قليلة، وكانت في الماضي تظهر وتختفي، حتى إذا احتلت إسرائيل الأرض المقدسة وأخرجوا أهلها من ديارهم وأموالهم وأرضهم، وظاهر على إخراجهم الأمريكان والإنجليز، وغيرهم من أهل أوربا، وأكثر أهل أمريكا، عندئذ وجدنا الدعاية إلى تحديد النسل تعود خدعة قوية في عنف ولجاجة، وتخص البلاد العربية التي تحيط بإسرائيل بالدعاية تحتل ربوعها، حتى ما كان منها

سكانه لا يصل إلى خمسة ملايين، وفيه موارد طبيعية تتسع لثلاثين أو أربعين، وفي أهله مهارة في الصناعة، وكياسة في التجارة كسوريا، وكادت الفكرة الباعثة تتكشف بهذا التعميم، فاتجهوا إلى التخصيص، وخصوا مصر بالدعاية اللجوج؛ لأن دعوى قلة الموارد الطبيعية فيها ربما تروج؛ ولأن سكانها في نماء ببركة اللَّه تعالى، ولأنها تقف بالمرصاد في الصدر لإسرائيل؛ ولأن جيشها المظفر ـ بعون اللَّه تعالى ـ هو قوة العرب أجمعين، وفيه عتادهم؛ ولأنها هي التي قبرت أمراء الصليبيين؛ ولأنها هي التي ردت التتار على أعقابهم خاسرين.

❑ وقال الشيخ: إن الأكثار من النسل مطلوب في ذاته، وهو غاية الزواج الأولى والسامية في الإسلام.

اختلف العلماء في جواز العزل، ففريق جوزه، وفريق منعه، ومن هؤلاء ابن حزم وبعض الحنابلة، والذين أجازوه ـ أجازوه على أنه رخصة فردية، وإن اختلفوا في أسباب هذه الرخصة ما بين موسع ومضيق، ومن أشد من وسعوا الغزالي في الإحياء، فقد وسع في أسباب الرخصة.

ومع ذلك فقد قرر الغزالي مع غيره أن العزل ترك الأفضل، بل إنه مكروه، وفي الجملة إن الإباحة لا تكون إلا برخصة باعثة وفي غيرها لا يكون جائزا، هذا ما ينتهي إليه التفكير السليم.

ويجب أن نقرر أن العزل أو المنع الشخصي للنسل يعارضه أنه ضد الفطرة، ويعارضه الأحاديث المتفق عليها، الداعية إلى تكثير النسل، ويعارضه أيضا ـ الأحاديث الصريحة المانعة له، حتى قال بعض العلماء: إنها ناسخة لأحاديث الإباحة على سبيل الرخصة، وخصوصًا الحديث الصحيح الذي قال: «إنه الوأد الخفي» ثم تعارضه قاعدة أجمع عليها المسلمون، وهي المحافظة على النسل، فقد أجمع العلماء على أن الضرورات التي تجب

المحافظة عليها خمس هي النفس، والدين، والعقل، والنسل، والمال، فنظرية منع النسل معارضة صريحة لكون المحافظة على النسل من الأمور الضرورية في الإسلام بإجماع العلماء.

❑ تبين من البحث السابق أن المنع الفردي للنسل ترك للأفضل أو مكروه، وإذا وجد موجبه عند الفرد كان مباحًا على مقدار هذه الرخصة الفردية، ولا يوجد في الفقه الإسلامي ما يجعل الرخصة جماعية لأمة من الأمم أو لإقليم من الأقاليم، فالرخص دائمًا فردية.

وإذا انتهينا إلى الإباحة في هذه الدائرة، فإنه من المقررات الشرعية أن المباح بالشخص أو بالجزء يكون إما مطلوبًا بالكل، أو ممنوعًا بالكل، على حسب موافقته للمبادئ الكلية المقررة في الشريعة، أو مناقضتها. فإن كان خادمًا للمبادئ الشرعية الثابتة كان مطلوبًا بالكل مباحًا بالجزء وإن كان مناقضًا للمبادئ الكلية العامة في الشريعة، كان مباحًا بالجزء حرامًا بالكل، ولنترك الكلمة للشاطبي في الموافقات، فهو يقول: إن المباح ضربان: أحدهما إما أن يكون خادمًا لأصل ضروري أو حاجي أو تكميلي، والثاني ألا يكون كذلك، فالأول ـ قد يراعي ما هو خادم له، فيكون مطلوبًا ومحبوبًا فعله، وذلك كالتمتع بما أحل اللَّه تعالى من المآكل والمشرب ونحوهما مباح في نفسه، وإباحته بالجزء، وهو خادم لأصل ضروري، وهو إقامة الحياة، فهو مأمورٌ به من هذه الجهة ومعتبر ومحبوب من حيث هذا الكلي المطلوب، فالأمر به راجع إلى حقيقته الكلية، لا إلى اعتباره الجزئي.. والثاني: إما أن يكون خادمًا لما ينقض أصلاً من الأصول الثلاثة المعتبرة، أو لا يكون خادمًا لشيء، كالطلاق، فإنه ترك للحلال الذي هو خادم لكلي: إقامة النسل في الوجود، وهو ضروري، ولإقامة مطلق الألفة والمعاشرة، واشتباك العشائر بين الخلق، وهو ضروري أو حاجي أو مكمل لأحدهما، فإذا كان الطلاق بهذا النظر

خرقًا لذلك المطلوب، ونقضًا عليه كان مبغضًا، ولم يكن فعله أولى من تركه، إلا لعارض أقوى كالشقاق بين الزوجين وعدم إقامة حدود اللَّه، وهو من حيث كان جزئيًا في هذا الشخص، وفي هذا الزمان مباح وحلال[1].

وبتطبيق هذه القواعد على قضية منع النسل نقر الأمر الشرعي في هذه القضية، إنه إذا أبيح لرخصة، فإنه يباح للشخص الذي كانت عنده الرخصة، ولا يباح كقاعدة عامة تعم الناس في إقليم أو أمة، بحيث ينتفع بالإباحة صاحب الرخصة وغيرها، ثم هو خادم لأمر يناقض مبدأ مقررًا ثابتًا، وهو المحافظة على النسل، والإكثار منه الذي جاءت به الأحاديث الصريحة المتفق عليها.

ونريد أن نطبق هذا الحكم على ما يجري الآن في مصر، تقوم الجماعات التي أصلها قد أنشئت للخير، وبعض الرعايات الاجتماعية بإعطاء أقراص أو حبوب لمنع النسل، وتقوم دعاية صحفية، وعلى منبر الإذاعة المرئية وغير المرئية لتحديد نسل الأمة بدعوى قلة الموارد، وتزايد السكان، باسم جواز ذلك شرعًا، وقد رأينا حكم الشرع، وأنه لا يجوز منع النسل بالكل، ولا يباح كأمر عام؛ لأنه يعارض قوله: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾. ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾، ولذلك نعارض باسم الدين، ولا نريد أن نقطع نسلنا، ونقلل جمعنا، ونعصي رسولنا، ونكفر بقدرة ربنا الذي يرزق من يشاء بغير حساب.

هذا حكم الدين فلننظر إلى الدنيا، ولنتعرف الدنيا متحررين في فهمنا من كل تقليد أعمى، أو اتباع على غير هدى.

❑ لماذا نحدد النسل؟ لماذا نحارب الكثرة، ونعمل على القلة؟ إن الرقعة

(١) «الموافقات» للشاطبي (١/ ١٢٨، ١٢٩) طبع التجارية.

الزراعية ضئيلة، والسكان في تكاثر وتزايد، وسيأتي وقت لا تجود عليهم الأرض بما يطعمهم.

❑ ونقول: إن مصر الآن لم تبق بلدًا زراعيًّا يعتمد على الزراعة، بل إنه صار يعتمد على الصناعة، وإن ما تنتجه أرض مصر من ثمرات الأرض والأغراس يزيد عما تنتجه أرض انجلترا التي اتسعت لأكثر من خمسين مليونًا، ولكنها الصناعة، ومصر فيها كل المواد الأولية للصناعة: فيها البترول، ولم يكشف كل ما يجري في باطنها من أنهار، وفيها الحديد، وقد كشف فيها الفحم، وقد اتجهت إلى الصناعة في عهدها الحاضر، حتى صار ما تصدره منها لا يقل عما تصدره من زراعة، وأن قوتها لا تعتمد فيه على ما تخرجه أرضها، بل تعتمد على ما تستجلبه في نظير ما تقدم من صناعات وخامات.

إن الاقتصاديين المدركين الفاهمين الذين لا يقلدون ولا ينحرفون، يقررون أن النسل في ذاته ثروة، وأن أعلى مصادر الثروة هي القوة البشرية، وهناك أمم كسويسرا لا تعتمد في مصادرها إلا على مهارة سكانها، ومثلها كثير من الأمم، فهل نريد أن نحرم أنفسنا هذه القوى العاملة وهي أغلى الثروات في الوجود، وأثمنها وأغلاها، ومثلنا كمثل من يكون في يده كنز من الذهب لا يستطيع أن يتخذ منه نقدًا أو حليًا، أو ما ينفع الناس في الأرض، فيلقيه في البحر، ليتخلص من أعباء صناعته أو الانتفاع به»[1].

* أبو زهرة يرد على أكذوبة ظهور العذراء في كنيسة الزيتون في مارس ١٩٦٨م:

❑ قال الدكتور أحمد شلبي في كتابه «مقارنة الأديان» (٢/ ١٠١،

(١) «أبو زهرة وقضايا العصر» (ص٢٠١ ـ ٢٠٨) ملخصًا.

١٠٢، ١٠٣): «انتهز بعض المسيحيين بمصر فرصة الهزيمة النكراء التي حلّت بالشعب المصري وجيشه في يونيو ١٩٦٧ بسبب اضطراب القيادة السياسية والعسكرية ـ آنذاك ـ ولم يشاءوا أن يشاركوا الشعب آلامه، ورأوا أن القيادة السياسية كانت تتلمّس الطريق لإرضائهم، ولو على حساب الحق والإسلام، فلم يضيّعوا هذه الفرصة، وأرادوا أن يكسبوا جولة من النصر، فادعوا أن العذراء ظهرت للناس، وأعادت الإبصار للعميان، والقوة للكسيح!!

وخرجت جريدة «وطني» المسيحية تهلل وتذيع، ولم يعد لها من عمل إلا تأييد هذه الفرية الهزيلة، قد حاوَلْتُ.. آنذاك ـ كما حاول غيري، أن نرد هذا الباطل، ولكن أوامر القيادة السياسية منعت أي نقاش في هذا الموضوع، فسكتنا حتى أذن اللّه للحق أن ينبلج، ولصوت الباطل أن يخفت، ولكن ذلك لم يتم إلاّ بعد ضحايا كثيرين سقطوا في الزحام الذي جمعته الدعاية الظالمة، وبدل أن تشفي العذراء المرضى تسبّبت هذه الفرية التي ارتبطت بالعذراء في قتل الأبرياء، ومعنا الآن كتاب كتبه باحث مسيحي أوربي يعرض هذه المهزلة، ومنه نقتبس كلماته ليكون صوتًا مسيحيًّا يردّ باطل أهل دينه.

❑ يقول otto Meinardus في كتابه christian Eygpt: Fiath and life p.265, 267, 269:

«في شهر مارس سنة ١٩٦٨ صرخت كنيسة العذراء بالزيتون بشارع «طومان باي» صرخة مدوية بأن العذراء ظهرت بها، وأنها تشفي المرضى، وتُعيد الإبصار للعُميان، وقد خُدِع بهذه الصرخة آلاف من المصريين، فاتجهوا ليروا هذا الأمر الجلل، ولم تقنع القيادة المسيحية بمصر بأن يُذاع مثل هذا الخبر دون توثيق، فأرسل البطريرك «كرولس السادس» مطران بني سويف ليرى في ذلك بنفسه وليعلنه بصفة رسمية، وفي الثاني من أبريل أعلن هذا المطران ظهور العذراء في هذه الكنيسة، وأنها ظهرت عدة مرات بحجمها

الطبيعي، أو ظهر النصف الأعلى منها، وقد أذاع المطران هذا الإعلان في مؤتمر صحفي ذاكرًا أنه رأى العذراء بنفسه، وأن آلاف الناس رأوا ذلك معه».

ويقرر المؤلف أن الذي ظهر ليس إلا انعكاسًا ضوئيًا، وليس بحال من الأحوال ظهورًا للعذراء، كما يقرر الحقيقة التي ذكرناها، وهي أن العذراء لم تكن تشفي المريض وهي حية منذ ألفي سنة. ويذكر كذلك أن البطريرك لم يتجه بنفسه إلى كنيسة العذراء إلا بعد أربعة أشهر من هذا الإعلان، مما يدل على تهاونه به، ولو حدث ظهور العذراء فعلاً لأسرع لاستقبالها والسجود لها، ولكن سلوكه كان أقل حماسًا وانفعالاً من معظم الأقباط». ويستمر المؤلف فيقول: «إن الكنائس في شبرا وفي المعادي أخذت تتنافس في ادعاء هذا الأمر لتجذب لها جماهير المخدوعين، بل وصل الأمر إلى كنائس شتى في جميع بلاد الشرق الأوسط أخذت تدّعي هذا الادعاء».

ويختم المؤلف وصفه لهذه المسألة بحديثه عن كارثة بشرية تسبّبت عنها، فيذكر أنه في ١٩ مايو ١٩٦٨ قُتِل وطئًا تحت الأقدام حوالي خمسة عشر شخصًا في زحام داخل كنيسة شبرا، وبهذا الحدث الجلل توقّف هذا الباطل وقُطِعت ألسنة الكذّابين»[1].

❑ وردّ الشيخ محمد أبو زهرة على هذه الأكذوبة بقوله:

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أقدم لكلامي بذكر حقيقتين ومناقشة لكلام قيل حول القضية. أما الحقيقتان:

فأولهما: أنه لا يوجد في الأناجيل ولا في رسائل الرسل ولا في كتب

(١) «أبو زهرة وقضايا العصر» (٣/ ٤٢ ـ ٤٣).

العهد القديم التي يقدسونها، لا يوجد في هذه الكتب أيَّ ذكر قط لمريم البتول عليها السلام.

والكتاب المقدس الوحيد ـ الذي انفرد بذكر مريم البتول ـ إنما هو القرآن الكريم وقد ذكرها وهي حامل قبل أن تلد، وذكرها بعد أن ولدت، وذكر أن اللَّه طهرها واصطفاها على نساء العالمين، ومن الغريب أن النصارى عندما يريدون أن يتكلموا عن مريم العذراء والكتب المقدسة التي تعرض لها لا يجدون إلا القرآن الكريم، وإذا كانوا لا يجدون مصدر ذكرها إلا في القرآن الكريم فكان واجب المنطق أن يأخذوا بما جاء فيه في شأنها كما يفهمون سواء أكان حقًّا أم كان باطلاً.

الحقيقة الثانية: أن الصحف سواء كانت صحفًا قومية أم كانت صحفًا طائفية أخذت القول ترميه هنا وهناك من غير تمحيص. ولما اتجه بعض الناس إلى ذكره على أنه محض افتراض لم يأتوا بدليل يمكن أن يكون حجة لما يدّعون.

أنا كنت أفهم أن الحكومة ـ وقد رأت الأمر جللاً وأنه قد يثير فتنة، أو أن فيه ما يمس بعض العقائد ـ كنت أفهم أن تعيِّن الحكومة وكيل نيابة أو محققًا أو هيئة محترمة ومسئولة تحقق الموضوع ولا تترك الناس حيارى لا يدرون الحق في الأمر ويموجون في فتنة ظلماء وتمحصه وتذكر حقيقة الأمر فيه لا أن تترك الناس في هذه الظلماء التي قد تؤدي إلى فتنة عمياء، وهذه حقيقة أوجه نظر الحكومة إليها وأدعوها قبل أن يتفاقم الأمر وقبل أن يفوت الأوان.

❑ أما أن تجري الصحف وتقول: «نريده أن يكون مكانًا سياحيًّا» ونحو ذلك فهذا أمر لا يجوز مطلقًا!!

ويجب علينا نحن المسلمين أن نعرف أن هناك موجات من الأوهام

والخرافات تجيء الفينة بعد الفينة والسنة بعد السنة ولا شك أنكم تذكرون حديث «آقال» الذي جاء من لبنان وهو فتى أرمني معتوه قيل أنه يشفي المرضى، وكان معه خواص يشيعون عنه ذلك وأخذت الأخبار تنشر عنه، ثم تبيّن بعد حوالي عشرة أيام أنها كلها كاذبة، فرحل إلى أمريكا وهناك بُثّت كذبة أيضًا بعد أن روج له بعض المصريين من غير المسلمين ترويجًا شديدًا.

وأظنكم تذكرون أيضًا أن الخبر الذي ذاع في الآفاق في أوروبا وفي غيرها أن تمثالاً للعذراء انحدرت الدموع عن عينيه وتناقلت أوروبا ذلك وتحدثت به ثم تبين أنه «فرية بلا مرية» على رأي الأزهريين.

هذه أمور تعودنا أن نسمعها وأن تثير الفضول من المسلمين وغير المسلمين وأن تموه على أبصار الناس وعلى عقولهم وعلى تفكيرهم ومن الغريب أنه يسارع إلى ترويجها وتصديقها ناس لا يؤمنون بالأديان ولا يؤمنون بخاصة الأديان وهي الإيمان بالغيب، لأنهم يجدون في هذا ما يوهن العقائد، العقائد القائمة الثابتة التي لا يستطيع أن يرتاب فيها مرتاب.

❑ قيل لهم: وكيف عرفتم صورة العذراء؟ مع أن أحدًا من المسيحيين لم ير العذراء الآن ولا قبل الآن.

❑ فقالوا: إن القديس لوقا وهو من الحواريين رآها وصورها وهذه كذبة تقوم على عناصر ثلاثة من الكذب:

الكذبة الأولى: أن لوقا لم يكن مصورًا بل رجح القس إبراهيم سعيد وأعوانه أنه كان طبيبًا ولم يكن مصورًا ومن الغريب أن القس إبراهيم سعيد هو الذي روّج لفكرة أن لوقا هو الذي صورها مع أنه في شرع بشارة لوقا يبني العلالي والقصور على أن لوقا كان طبيبًا وكان عالمًا وأنه في طبّه وعلمه كان ممحصًا.

الكذبة الثانية: أنهم قالوا إن لوقا كان من الحواريين. ونقول لهم كذبتم

وافتريتم، فكُتَّابُ المسيحية ما قالوا إن لوقا كان من الحواريين، فلم يكن حواريًّا، بل كان من تلاميذ غير الحواريين كان تلميذًا لبولس وبولس ما كان من الحواريين ولا أتباع الحواريين، بل كان مناوئًا وعبئًا شديدًا عليهم!!

الكذبة الثالثة: أنهم قالوا إن لوقا رأى السيدة العذراء مريم، والتاريخ ينبئ أن لوقا لم يولد بين اليهود بل الراجح أنه ولد في أنطاكية، وقيل إنه ولد في إيطاليا، إذًا فهو ليس عبرانيًّا حتى نقول: إنه كان بحكم عبرانيته كان مع بني إسرائيل وكان مختلطًا بالعذراء وثابت عندنا أن الأناجيل لم تظهر قبل مضى مائتي سنة على وفاة المسيح عليه السلام.

نرجع ونقول إن الثابت عندهم لا عندنا أنه على حسب كلامهم فإن إنجيل لوقا دوّن سنة ٥٨م أو سنة ٦٢ أو سنة ٦٤ فأقل مدة ٥٨ سنة بينما في سنة ٥٨م كان المسيح قد ترك الدنيا منذ أكثر من ثمان وعشرين سنة.

ثم إن الأدلة قاطعة على أن السيدة العذراء ما ذكرت قط عندهم حتى يذهب إليها لوقا ـ في أكاذيبهم ـ ويصورها.

نعم قال بعض العلماء إنه كان مصورًا ولكن القس إبراهيم سعيد هو الذي حقق أنه كان طبيعيًّا وكيماويًّا وإن كنا نصدقه أو لا نُصَدِّقُهُ فعليهم أن يحترموا قوله خصوصًا أنه كان ممن خاضوا في هذه القضية.

بقي أن نقول لإخواننا الفضوليين الذين يذهب بهم فرط فضولهم إلى أن يذهبوا إلى هذا المكان ويوضحوا عندهم ومنهم من تصل به أوهامه إلى أن يرى ما لا يرى، وكون الإنسان يرى شيئًا لم يره فهذا ثابت عند ذوي النفوس المضطربة والعقول التي يسيطر عليها الوهم والخيال ـ إلى هؤلاء نقول لهم: لا تذهبوا لأن تصديق كلامهم يؤدي بكم إلى الكفر».

ذلك أن مريم العذراء كانت طاهرة مطهرة موحدة حتى قيل إنها نبي من الأنبياء ويتكلم علماء أصول الدين في ذلك: هل يوجد من النساء نبية؟ قيل

إن السيدة مريم إن كانت من الأنبياء فهي موحدة. وإذا كانت موحدة فلا يمكن أن تظهر في كنيسة لأن هذه الكنيسة يدَّعي فيها أن المسيح إله!! فكيف تظهر العذراء الطاهرة المطهرة الصادقة المؤمنة كيف تظهر في كنيسة لا تعبد اللَّه سبحانه وتعالى. لا نقول هذا طعنًا في أحد! ولكن نقوله لأبنائنا المسلمين: إن أردتم أن تكونوا ممن يقولون إن المسيح ابن اللَّه يعبد!!! فاذهبوا إلى هناك! وصفقوا أو لا تصفقوا!!

❑ أما إن كنتم مؤمنين باللَّه حقًّا وصدقًا فاحذروا ثم احذروا وأبعدوا الأوهام عن نفوسكم!!

هناك حقيقة أخرى ضد الإسلام، لقد قالوا إنها جاءت متأبطة الصليب أو في حالة تشبه تقديس الصليب، وهذا ضد القرآن فاحذروا أيها المؤمنون؛ لأن اللَّه يقول ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾ والصليب رمز للصلب فهل تكذبون القرآن وتصدقون هذه الأوهام. إن كنتم كذلك فلا تكونوا مسلمين، هذه حقيقة نقولها بقوة لإخواننا المسلمين.

❑ ثم نقول لإخواننا[1] المسيحيين أيضًا ـ وإن كان كلامنا لا يخلو من فضول ولكن الأمور كلها تسير في فضول، فلا مانع أن نخوض في الفضول أيضًا:

ـ أيها الإخوان إنهم يقولون إن مريم شفت من المرضى ما عجز الطب عن أن يجد له علاجًا!! فلماذا يكلف السيد رئيس الجمهورية نفسه مشقة السفر ويسافر إلى «اسخلطو بو» للعلاج!! لماذا لا يعالج ببركات السيدة العذراء كما يدعي الجهلاء!!.

أيها الإخوان الأعزاء. أنتم تقولون إن مريم مقدسة فهل تقولون إنها

(١) غفر اللَّه للشيخ أبي زهرة أين هذه الأخوة وهم كفّار بنص كتاب اللَّه.

معبودة وإله؟! إذن فقولوا الرَّابوع ولا تقولوا الثالوث حتى يكون هناك أربعة بدل أن يكون هناك ثلاثة.

❑ وأخيراً أقول ما ابتدأت به وهو أنه يجب على الدولة أن تقتلع الفتنة من جذورها بأن ترسل هيئة قضائية تحقق القضية من كل وجوهها ثم تعلنها للناس حقيقة سائغة يطلبها الحق ويقرها الصدق»[1].

أسأل اللَّه أن يرحم الفقيه أبي زهرة لصدعه بالحق في وقت عزّ فيها الرجال الذين لا يخشون في اللَّه لومة لائم.

* * *

(١) «أبو زهرة وقضايا العصر» (٣/ ٦٤ ـ ٦٧).

obeikandl.com

*** الشيخ محمد الغزالي المدافع عن الإسلام ضد خصومه من العلمانيين ودعاة التنوير ـ الظلاميين ـ والقوميين والزنادقة والشيوعيين وطوائف الكافرين:**

❑ الشيخ محمد الغزالي من أبرز المدافعين عن الإسلام ضد خصومه الموتورين، وكانت مقالاته في شبابه صرخات عالية من شأنها أن توقظ النيام ولم تكن همسات خافتة تبعث على التثاؤب، وتنيم اليقظان!

كان بعد خروجه من معتقل الطور سنة ١٩٤٩ هو المحامي عن حرمات الإسلام في مصر، وكان يسطر المقالات الممتعة في مجلة «المباحث» لإيقاظ الوعي الإسلامي العام.

وتصدى لصاحبه الشيخ خالد محمد خالد لما كتب كتابه «من هنا نبدأ» الذي صفّقت له، وروّجت له كل القوى المعادية للإسلام: شيوعية، وصليبية، وماسونية، وعلمانية.

وهنا تصدى له الغزالي في سلسلة مقالات قوية، نقد فيها شبهات خالد وردّ على دعاويه ثم جُمعت هذه المقالات في كتاب «من هنا نعلم»، الذي كان أقوى ما رُدَّ به على الكتاب المذكور، مع رفق وأدب، ورعاية لرابطة الود القديم، وكان الغزالي ـ رغم خلافه لخالد ـ يظن به خيرًا، وقد صدّقت الأيام ظنه.

❑ وصدر بعد ذلك للغزالي كتاب آخر في المواجهة والردّ أيضًا على من يتحاملون على الإسلام، ذلكم هو كتاب «التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام» ردًّا على من افترى على الإسلام واجترأ على حماه.

*** الشيخ الغزالي يدافع عن الهضيبي ويرد على الظالمين:**

❑ وفي خلافه مع الشيخ حسن الهضيبي أنصفه باعتباره رمزًا من رموز

الحركة الإسلامية في ذلك الوقت وقال عنه:

«من حقه أن يعرف الناس عنه أنه تحمّل بصلابة وبأس كل ما نزل به، فلم يجزع ولم يتراجع، وبقى في شيخوخته المثقلة عميق الإيمان، واسع الأمل حتى خرج من السجن.

الحق يقال.. إن صبره الذي أعزّ الإيمان، رفعه في نفسي، وإن المآسي التي نزلت به وبأسرته لم تفقده صدق الحكم على الأمور، ولم تبعده عن منهج الجماعة الإسلامية منذ بدأ تاريخنا.. على حين خرج من السجن أُناس لم تُبق لهم المصائب عقلاً.

وقد ذهبت إليه بعد ذهاب محنته، وأصلحت ما بيني وبينه، ويغفر اللَّه لنا أجمعين»[1] اهـ.

وكان مما هزّ الشيخ الغزالي وقدّره من مواقف الأستاذ الهضيبي، أنه أوصى في مرض موته أن يُدفَن في مقابر الصدقة التي يُدفَن فيها الفقراء والغرباء! وهو مَنْ هو منزلة ومنصبًا وجاها.

❑ قال الشيخ الغزالي:

«من أيام مات الأستاذ حسن الهضيبي وبلغتني وصيته: لقد أوصى أن يُدفن خفية، لا إعلان ولا مواكب وطلب أن يوارى جثمانه في مقابر الصدقة.

وعقدت لساني دهشة، وأنا أسمع العبارة الأخيرة ـ في مقابر الصدقة ـ!..

قلتُ: لم مقابر الصدقة؟!

ولم يغب عني الجواب، لقد كان مستشارًا راسخ المكانة، رفيع الهامة.

---

(١) «الشيخ الغزالي كما عرفته ـ رحلة نصف قرن» للشيخ د. يوسف القرضاوي (ص٤٧) ـ مؤسسة الرسالة ـ الطبعة الأولى.

لو اشتغل بمهاجمة الشريعة الإسلامية لنال جائزة الدولة التقديرية التي نالها غيره.

ولو خدم الغزو الثقافي لعاش في شيخوخته موفور الراحة، مكفول الرزق.

ولكنه خدم الإسلام، فتجرّع الصاب والعلقم! طُعِن مع الدين الجريح، وأُهين مع الدين المُهَان! فأراد أن تصحبه هذه المكانة في منقلبه إلى اللَّه!

فليدفن مع ناس أسلموا أرواحهم في غرفات السجن الحربي، وهم رازحون تحت وطأة عذاب تنوء به الجبال!

الحق يُقال: إن الأمة المصرية خاصة، والأمة الإسلامية جمعاء، يجب أن تُراجع نفسها طويلاً قبل يوم الحساب.

وسواءً صحا الضمير الراقد أم بقي غافيًا، فإن أعداء الإسلام لم يتغيروا في مواقفهم منه. لقد تحركوا مستغلين الضربات التي أطارت رشده ومزّقت شمله، فطمع البعض في تهويده، والبعض في تنصيره، والبعض في تكفيره، كفرًا يقطع علاقته بتة باللَّه والمرسلين أجمعين..

وتلك نتائج لم يكن منها بدّ للسياسة التي سلكها الرئيس الراحل جمال عبدالناصر.. وما ألّفنا هذا الكتاب إلا بعد ما رأينا أن ارتداد مصر عن الإسلام، خطة يتحرك بها كثيرون يعلنون بها ولا يستترون..!!

وظاهر أن جمال عبدالناصر كان أداة رائعة في يد القوى العالمية الحاقدة على اللَّه وخاتم رسله، وأنه فعل بمصر أضعاف ما فعله لورد كرومر.

ما تكون (دانشواي) بجانب مجازر طرة والحربي وغيرهما من سجون؟

ومعلوم أن مصر، والعرب كلهم، والمسلمين في القارات الخمس مكلّفون بالتفريط في عقيدتهم وأرضهم.. وأن مأساة فلسطين نموذج لمآسٍ أخرى عديدة.

ومعلوم أن الحرب المعلنة علينا تعتمد على جناح ديني عند اليهود، والنصارى أعني المستعمرين منهم، وأن الدفاع لن يتماسك أو يقوم أو ينجح إلا بعاطفة دينية مقابلة ترد الجماح المعتدي.

لقد كانت رسالة الزعيم المصري أن يميت العاطفة الدينية عند المسلمين، وأن يُطارد كل أثارة من الإسلام.. أي كان يمهد للتعصب الزاحف ويدع الطريق أمامه مفتوحًا ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [هود: ١٨-١٩][1].

إنصاف وأدب ونصح

* **وقفة هامة: «الدين النصيحة»:**

إن تشويه الرموز الإسلامية، وتحطيم الأعلام، وتدمير القمم عمل لا يستفيد منه غير أعداء الإسلام ولست والحمد للّه من الذين إذا رأوا شرًّا أذاعوه وإن رأوا خيرًا دفنوه، مبدعين في تضخيم الآفات إن وُجدت، واختلاقها إن لم يكن لها وجود.

ولست من الذين يسارعون في التكفير فهذا دأب الرعاع والحمقى، وليس من توجهي الهدم بدلاً من البناء، والحيف بدلاً من الإنصاف وإنما أقيم أخي إذا كبا، وأغطيه إذا تعرى، أبكي على ما بين الإسلاميين من تقطع، وإذا تصالح ندامى الحان، وتشاكس إخوان المسجد، فستنكسر المئذنة ويستولي السكارى على المحراب.

❑ ويرحم اللّه ابن القيم حيث يقول: «والبصير الصادق يضرب مع كل قوم بسهم، ويعاشر الناس على أحسن ما عندهم، وإن الماء إذا بلغ القلتين

(١) «قذائف الحق» للغزالي (ص١٠٨، ١٠٩).

لا يحمل الخبث.

لست من دعاة التفرق ويبكيني قول القائل:

أخي إني أُريـــدك لا تدعنـــي وإنْ بي ضاق صـدرك من يسعني
أأبـــكي دون أن تبـــكي لحـــزني وجفنك بـــاردٌ لم يجـــر دمعـــه

* * *

وشُـــدّ بعزمـــة في اللّه أزري شريكي أنت في قهري ونصري
لنحرك صوّب الأعـــدا ونحـــري فصنْ صـدري فأنت اليـوم درعه

* * *

ولا تســمع لتحريك الضغـائن وأنصـــتْ لاســـتغاثات المـــآذنْ
بقلب القدس قد نصبوا البراثـن فـــدعْ داعي التفـــرق لا تُطعـهُ

وقول القائل:

أخي إنني في القرار السحيق بغصة نَفْسٍ أضجّ إليكْ
فخذ بانتصاري فإني غريقْ أعاني وكيف أهون عليكْ

* * *

أَئِنُّ فلا تسمَعَنْ صرختي وأسقط لا ترفعن عثرتي
حرام فنصري لزامٌ عليك

ومع هذا أقول: الولاء المطلق للّه ولرسوله ﷺ، والنصح لأئمة المسلمين وعامتهم، وكلمة التوحيد قبل توحيد الكلمة، وإذا ضاع الحق، وضاعت معالم السنة، وظهرت البدع وسكتنا عنها بدعوى لمّ الشمل وتوحيد الصف فلن يتوحد صف وستضيع الأمة.

من هذا المنطلق ونحن نتكلم عن فضيلة الشيخ محمد الغزالي وهو

يهدر كالموج، ويقصف كالرعد، ويزأر كالليث مدافعًا عن الإسلام ضد خصومه، إلا أنا لا نقبل كلامه مطلقًا عن السلفية والسلفيين، ودفاعه عن المدرسة العقلية الحديثة، الأفغاني ورده لبعض الأحاديث الصحيحة وتقديم العقل على بعض النصوص، وبعض أقوال فيما يخص المرأة وتوليها لمناصب القضاء، وشدة هجومه وحدته بغير حق على الشباب الملتزم بالسنة ممن يخالفه الرأي.

فقد بلغ من ذلك مبلغًا لم يصل إليه أحد قبله في الاستخفاف بهم[1].

*** الغزالي المدافع عن الإسلام ضد خصومه:**

دافع الغزالي عن الإسلام في وقت علت فيه كلمة المارقين والشيوعيين والعلمانيين، وكان صوته مسموعًا بيّنا يجأر بالدعوة إلى اللَّه في أيام عبدالناصر، وسط الضوضاء الصاخبة التي تنعق بتقديس الطواغيت، وكان هو الشمعة الهادية في تلك الفترة الحالكة الظلمات، في جيل أُطفئت من حوله كل السُّرج، وزكمت أنوفه روائح التعذيب البشع والملاحقات التي كان بعض قادتها يتباهون علنًا بأنهم يعلمون ما في الصدور.

*** قذائف الحق:**

وقف الشيخ الغزالي حارسًا من حرّاس هذا الدين الأيقاظ ووقف لخصومه الكائدين له، المتربصين به الشر، الكارهين لانتشار أنواره وعودته إلى

---

(١) مما يؤخذ على الشيخ الغزالي عدم أخذه بأحاديث الآحاد في العقائد، ينحو منحى الأشاعرة، وأخطاؤه الفقهية، وموقفه من الشيعة وعباراته القاسية الخشنة المثيرة في كتابه «السنة بين أهل الفقه وأهل الحديث» للسلفيين، وأيضًا كتابه «هموم داعية» و«علل وأدوية» يُرد عليها في مجلد، وصحة طريقهم واضحة وضوح الشمس لا يجحدها إلا مكابر

وهَبْني قلت: هذا الصبـــح ليلٌ أيعمى العالمون عن الضياء؟!

قيادة الحياة من جديد.

بعض هؤلاء من خارج الإسلام وخارج أرضه من القوى العالمية التي تخاف الإسلام أو تبغضه: من اليهودية والصليبية والشيوعية والوثنية.

بل وبعضهم من داخل أرض الإسلام، بل من أبناء المسلمين أنفسهم، ولكنهم لا يضمرون للإسلام إلا شرًّا، ولا لدعاته إلا عداوة، ولا لشريعته إلا تنكرًا - وربما عادوه لأنه ضد شهواتهم المحرمة، وضد مظالمهم المفترسة، وضد مصالحهم الآثمة، وضد مطامعهم الفاجرة.

❑ وقف الشيخ لأعداء الدين بالمرصاد، مدافعًا ذائدًا، لا يُلقي السلاح ولا ينشد الراحة، ومعركة المصحف في العالم الإسلامي قائمة، والحرب على الإسلام وأمته دائرة، والدم الإسلامي مستباح، وأكثر المُوكّلين بالحراسة يغطّون في نوم عميق، هانت رسالة الإسلام عليهم فلم يدروا منها ما يرفع خسيستهم ويحمي محارمهم.

❑ في مقدمة كتابه «قذائف الحق» قال الشيخ:

«أعداء الإسلام يريدون الانتهاء منه، ويريدون استغلال المصائب التي نزلت بأمته، كي يبنوا أنفسهم على أنقاضها.

يريدون بإيجاز القضاء على أمة ودين.

وقد قرّرنا نحن أن نبقى، وأن تبقى معنا رسالتنا الخالدة، أو قرّرنا أن تبقى هذه الرسالة، ولو اقتضى الأمر أن نذهب في سبيلها، لترثها الأجيال اللاحقة...» إلى أن يقول: «إن اللَّه أخذ على حملة الوحي أن يعالنوا به، ويكشفوا للناس حقائقه وأكدّ ذلك عليهم في قوله تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

فما بد من البيان وعدم الكتمان.

وأعلم أن ذلك قد يعرّض لمتاعب جسام ولكني أقول ما قال صديقنا عمر بهاء الدين الأميري:

الهولُ في دربي وفي هدفي ... وأظلّ أمضي غير مضطرب!
ما كنتُ من نفسي على خور ... أوْ كنتُ من ربي على رِيَب!
ما في المنايا ما أحاذره ... اللّه ملء القصد والأرب»

* الشيخ الغزالي وعبدالناصر ورجاله:

كان الغزالي في بدء الثورة عظيم الترحيب بها والمناصرة لها، وتوجّس الهضيبي شرًّا من عبدالناصر، ولكن الشيخ الغزالي كان حسن الظن به، بناءً على ظواهر رآها منه أو سمعها عنه، ولكن الأيام أثبتت أن فراسة القاضي المتوجس، كانت أصدق من ظن الداعية المتفائل.

ومما يُذكر بالخير للغزالي أنه كان يرى أن من الخير للإسلام ولمصر أن يكون الإخوان أكثر ليونة مع الثورة وقائدها الذي لم يتخذ ـ في رأيه ـ بعد موقفًا صريحًا ضد الإسلام بدلاً من أن تراق دماء المسلمين[1].

❑ وحين أدرك الغزالي خبث عبدالناصر وسوء طويّته، وكيده للإسلام وأمته كتب في ذلك بعض الكتب المعبرة عن وجهته هذه، مثل: «كفاح دين» و«قذائف الحق» و«معركة المصحف في العالم الإسلامي» و«حصاد الغرور» و«الإسلام والزحف الأحمر» وغيرها.

---

(١) ويا ليت أن الناس أخذوا بهذا بدلاً من المصائب التي حلّت بالحركة الإسلامية عمومًا من جرّاء الاندفاع والقول بالعمل المسلح الذي لم يجن الاسلاميون منه إلا الصاب والمرّ والعلقم والتشريد والدماء وقتل الأبرياء المسلمين من الجانبيّن مما لا يرضى عنه اللّه ورسوله.

وأنذرتهم أمري بمنعرج اللـــوى ... فلم يستبينوا النصح إلا ضحى الغدِ

❑ وفي كتابه «كفاح دين» كشف اللثام عن الخطط المبيّتة لضرب كل تحرك للإسلام، والاستعانة على ذلك بأبناء المسلمين أنفسهم، وذكر فيه إحصاء بالمساجد التي هدمها رجال الثورة بدعوى تجميل القاهرة، ولم يبنوا بدائل لها.. وسلّط الضوء على ما تقوم به أجهزة الإعلام من تخريب للعقول والضمائر.

وكان قد خطر له أن يجعل عنوان هذا الكتاب «سياسة تمويت الإسلام» سمعتُ ذلك منه، ثم رأى العنوان الآخر أخفّ وطأة، وأدلّ على روح المقاومة والكفاح الكامنة في طبيعة الإسلام»[1].

وفي كتاب «قذائف الحق» وضع النقاط على الحروف، وفضح المؤامرات اللئيمة التي دُبِّرت ـ ولا زالت تدبر ـ للإسلام، وسجّل في كتابه الوثيقة الرهيبة التي أعدها زكريا محيي الدين وشمس بدران ورجالهما، ووقعّ عليها عبدالناصر للقضاء على الإخوان، وعلى الروافد التي تمدهم من سائر التيارات والقوى الدينية في مصر.

❑ كما أكدّ أن القومية العربية لا يُمكن أن تكون بدلاً عن الإسلام، وأن العرب بدون الإسلام صفر.. وفي هذا الكتاب عرض الغزالي لعبدالناصر في أكثر من موضع، وخصوصًا في فصل «الدعوة الإسلامية والحكام الخونة» فقد ذكره مع «أتاتورك» و«سوكارنو» و«سوهارتو» وغيرهم ممن استخدمتهم القوى المعادية للإسلام من صهيونية وصليبية وشيوعية.

وأنكر على عبدالناصر أن يستخدم الأزهر أكبر جامعة إسلامية ليستقبل الداعر المنحل سوكارنو ويمنحه أعلى شهاداته العلمية وهي (العالمية) الفخرية في العقيدة والفلسفة من كلية أصول الدين!!

---

(١) انظر «الشيخ الغزالي كما عرفته» للدكتور يوسف القرضاوي (٥٥ ـ ٥٧).

❑ قال الغزالي:

«والحق أني حائر في فهم جمال عبدالناصر، لقد كنتُ ـ كما يعلم الناس ـ من جماعة الإخوان المسلمين، وأقرر أن جمال عبدالناصر وكمال الدين حسين بايعا في ليلة واحدة على نصرة الإسلام ورفع لوائه، وقد كنت قريبًا من مشهد مثير وقف فيه جمال عبدالناصر أمام قبر حسن البنا يقول: «نحن على العهد وسنستأنف المسيرة!. كان ذلك عقب قيام الثورة بأشهر قلائل[1].

وقد وضع كُتّاب مسلمون كبار مقدمات للرسائل التي كانت تصدر تحت عنوان «اخترنا لك» أمضاها جمال عبدالناصر، وفيها أشرف ما يؤكده زعيم مسلم نحو أمته ودينه.

لا أدري ما حدث بعد ذلك..

إنه تغيّر رهيب في فكر الرجل ومسيرته، جعله في كل نزاع بين الإسلام وطرف آخر ينضم إلى الطرف الآخر:

ـ انضم إلى الهند في خصومتها المُرّة ضد باكستان المسلمة.

ـ انضم إلى الحبشة في عدوانها الصارخ على إرتريا.

ـ انضم إلى تنجانيقا وأغضى عن المذبحة الشنعاء التي أوقعتها بشعب زنجبار المسلم ورحّب أحرّ ترحيب بنيريري الذي يتظاهر بالاشتراكية وهو قسيس كاثوليكي.

ـ انضم إلى القبارصة اليونان في نزاعهم ضد القبارصة المسلمين، وجعل الأزهر يستقبل مكاريوس عدو الكيان الإسلامي للأتراك.

ـ كان أسدًا هصورًا في قتال اليمن، وحملاً وديعًا في قتال اليهود،

(١) كان ذلك في ١٢ فبراير سنة ١٩٥٣م.

حتى جعل اليهود ـ وهم أحقر مقاتلين في العالم ـ يزعمون أنهم لا يُقهرون في حرب!!

سريع إلى ابن العم يلطم خدّه وليس إلى داعي الندى بسريع!

❑ وقد ساند «البعث العربي» الحاقد على الإسلام، ورفض مساندة أي تجمع إسلامي، واخترع حكاية القومية العربية لتكون بديلاً عن العقيدة الإسلامية..!!».

*** الغزالي رجل المواقف:**

❑ يرحم اللَّه شوقي القائل:

قف دون رأيك في الحياة مجاهداً إن الحياة عقيدة وجهاد

وقد كانت للشيخ الغزالي مواقف مشكورة في نصرة الإسلام والجهر بالحق نذكر منها.

*** موقفه في المؤتمر القومي العام سنة ١٩٦٢م:**

«ومن المواقف التي تُذكر للشيخ موقفه في المؤتمر القومي العام الذي عُقِد في القاهرة أيام عبدالناصر سنة ١٩٦٢، ووقوف الشيخ يدعو صراحة إلى وجوب التحرير من الاستعمار التشريعي بالرجوع إلى أحكام الشريعة الإسلامية، وعرّج الشيخ في نهاية كلمته على ضرورة التخلص من التقليد والتبعية في الأزياء، وأن يكون للأمة أزياؤها الخاصة بها، سواء ما يتعلق بالرجال أو النساء، وضرورة عودة المرأة المسلمة إلى الاحتشام»[1].

«وهنا ثارت ثائرة الشيوعيين والمنحلين، وأعداء الإسلام المتسترين بالثورة والمحتمين بحماها.

(١) انظر «الشيخ الغزالي كما عرفته» (ص٣٣٧ ـ ٣٣٨).

وكتب رسّام الكاريكاتير الملحد المعروف صلاح جاهين، المحرر بالأهرام ما كتب من سخرية بالشيخ وكلامه، وما يرمز إليه من بقاء الإسلام والأزهر.

نشر صلاح جاهين المعروف بانتمائه الشيوعي ١٤ رسمًا ساخرًا، تحت عنوان (تأملات كاريكاتورية في المسألة الغزالية) إن دلت على شيء، فإنما تدل على أن كلمة الغزالي قلبت موازينهم، وأصابت منهم مقتلاً. وهو فرد، وهم ألوف معهم الدولة والسلطان والصحافة والإعلام.

وقد بلغ التبجح بصلاح جاهين أن بعض الناس قالوا له: كيف تهاجم الإسلام ورجاله، وهو دين الدولة الرسمي؟ فقال لهم: إذا كان الإسلام دين الدولة فسأحارب الدولة! ولقد غاظ الجماهير المسلمة أن يتعرّض شيخها لهذه السخريات من صحفي ملحد أثيم، فخرجت يوم الجمعة ١/٦/١٩٦٢ من الجامع الأزهر في صورة مظاهرة شعبية غاضبة مزمجرة، ضمت عشرات الألوف، وقد اتجهت الجموع الصاخبة إلى دار الأهرام القديمة تعلن احتجاجها وسخطها لقد سخر الشيوعي جاهين من عمامة الشيخ الغزالي، ولكن الشيخ وقف في المؤتمر في اليوم التالي يقول جهرة: إن تحت هذه العمامة رأس مفكر، كان يحارب الظلم والإقطاع، أيام كان أمثال هذا الكاتب قوّادين لفاروق!

ولقد سمعته ـ وأنا في قطر ـ يتحدث على الهواء في المؤتمر، يرد على مفتريات الصحافة التي حرّفت كلامه، وعلى الصحافيين الذين قوّلوه ما لم يقل، حقدًا على الإسلام الذي يمثله، وكان مما قاله: إن الذي يهاجمه هؤلاء اليوم باسم التقدمية والحرية، نُشر له في عهد الملكية خمسة كتب تهاجم الأوضاع الظالمة الفاسدة، طُبعت مثنى وثلاث ورباع، في الوقت الذي كان هؤلاء وأشباههم يسبحون بحمد فاروق وحاشيته»[1].

(١) المصدر السابق (ص٥٩ ـ ٦٠).

* مصارعة القوى المعادية للإسلام:

وهناك جانب أساسي من جوانب الدعوة عند الغزالي، وهو: مصارعة القوى المعادية للإسلام، والتصدي لتياراتها، والعمل على كشف عملائها، وهدم أوكارها، وهتك أستارها، والوقوف في وجه أخطارها وآثارها، والغزالي هنا مقاتل عنيد، لا يستسلم ولا يطأطئ ولا يلين، ولا يقبل اللقاء في منتصف الطريق، أو الرضا بأنصاف الحلول، بل صبر ومصابرة ومرابطة حتى النصر أو الشهادة.

* في وجه الاستعمار:

لذا وقف في وجه الاستعمار، وكشف عن حقيقته ودوافعه، وأنها (أحقاد وأطماع) فليس الاستعمار مجرد مطامع في أرض المسلمين ونهب ثرواتهم وخيراتهم، ولكنه ـ إلى جوار ذلك ـ حاقد صليبي، يحمل ضغائن قديمة لم ينسها بعد الحروب الصليبية المعروفة، بل منذ احتل الأرض التي كانت مسيحية، بالشام ومصر وشمال إفريقيا والأناضول، وحولها إلى قلاع إسلامية. وقد ظهر هذا في موقف الغرب من قضايا الإسلام، وآخرها: قضية البوسنة والهرسك.

* في وجه الصهيونية:

وقف في وجه الصهيونية العالمية، التي احتلت أرض النبوات، وانتهكت حرمة المقدسات الإسلامية، وشردت أبناء الأرض من ديارهم بغير حق، صنعت ذلك كله باسم التوراة، وتحت راية العقيدة اليهودية، التي جمعت اليهود المتفرقين في الأوطان، ويراد للعرب وللفلسطينيين أن يقاتلوهم بغير دين، فيدخل اليهود المعركة ومعهم التوراة، ويدخلها العرب وليس معهم القرآن، وكان للشيخ في ذلك كتابات كثيرة لا تحصى، من أبرزها ما أصدره

بعد النكبة أو النكسة، وهو كتاب: «حصاد الغرور».

□ يقول ـ رحمه اللَّه ـ في كتابه «كفاح دين» (ص١١١):

«كنا نفكر أن سيطرة الغربيين على بلادنا كانت مجرد غلب القوى على الضعيف حتى صحونا من منامنا، أو استفقنا من بلاهتنا، فوجدنا الأوربيين الغزاة يطوون أفئدتهم على جميع المشاعر التي حرّكت أسلافهم الأقدمين حين حاربونا باسم «الصليب» زهاء قرنين من الزمان.

إنهم هم هم، بغضاؤهم للإسلام لم تنقض، بل ظلت في نماء، وسخطهم على أهله لا تزيده الليالي إلا ضرامًا.

كل ما أفادوه من تقدم علمي في إبّان غفوتنا الأخيرة، أنهم غيّروا الوسائل، وأضافوا إليها مقدارًا أكبر من الختل والخبث، وطوروا السلاح ليجعلوه أشد فتكًا، وأوسع هلكًا، حشدوا كل ما لديهم ليجهزوا على الكتاب والسنة أي على رسالة محمد عدوهم الألدّ.. ثم ليمزقوا أمته شر ممزق فيسلطوا عليها من صنوف البلاء ما يجعلها تتعثر في طلب النجاة دون جدوى».

*** في وجه التنصير:**

ووقف في وجه «التنصير» الذي يريد أن يسلخ المسلمين من عقيدتهم فإن لم يقدر على إدخالهم في النصرانية اكتفى بزعزعة إسلامهم، وتشكيكهم في دينهم، وللشيخ في ذلك كتابات شتى، بأساليب متنوعة، لعل آخرها كتابه: «صيحة تحذير من دعاة التنصير»، وقد كتبه بعد أن قرأ ما صدر عن مؤتمر (كلورادو) سنة ١٩٧٨م من تقرير ضخم ضم أربعين (٤٠) دراسة عن الإسلام والنصرانية، وهو المؤتمر الذي اجتمع بهدف تنصير المسلمين في العالم، ورصد لذلك ألف مليون دولار، وأنشأ لهذه الغاية (معهد زويمر) لتخريج متخصصين في تنصير أمة الإسلام.

* في وجه الشيوعية:

ووقف في وجه الشيوعية ومحاولاتها لغزو ديار الإسلام، وما صنعته بالمسلمين وراء الستار الحديدي من تصفيات جسدية، وحملات قمعية، وحمامات دموية، وللشيخ في ذلك كتابات كثيرة أبرزها: كتاب «الإسلام في وجه الزحف الأحمر»، الذي نشرت طبعته الأولى في سنة ١٩٦٦م أيْ في أوج عهد عبدالناصر، وقد كان الشيوعيون في ذلك الوقت لهم سطوة وسلطان، وكانوا ممكنين من جميع أجهزة الثقافة والإعلام، وكانت صلة مصر بالسوفييت وثيقة متينة، لا غرو أن قال الشيخ في مقدمة كتابه هذه العبارات: «لذلك رأيت أن أكتب هذه الصحائف الحافلة بالحقائق العلمية والتاريخية، وأودعها صرخات قلب غيور على دينه، شفيق على أمته.

وأعرف أنني بكتابتها سأتعرض لعداوات مميتة، ولكن بئست الحياة أن نبقى، ويفنى الإسلام! إن الضربات تنهال من كل ناحية على هذا الدين الجلد! وعلى بعد ما بين الخصوم الضاربين من منازع وغايات، فقد جمعهم حب الإجهاز على الإسلام، واقتسام تركته!

وقد فرض اللَّه على العلماء أن يقولوا الحق ولو كان مرًّا، وألا يخشوا في اللَّه لومة لائم، وعُشّاق الحق لا بد أن يحيْوا معه، وإلا فبطن الأرض خير لهم من ظهرها. والأمة التي أعنيها ليست عشيرتي الأقربين، ولا العرب أجمعين، كلا. إنني أعني الأمة الإسلامية حيث انتشرت في الأرض، ولمس ترابها جبهات الساجدين، وكل منهم يهمس في خشوع: «سبحان ربي الأعلى».

هذه الأمة التي أحاط بها الطامعون والحاقدون هي الأمة التي أحذر عليها وأعمل لها».

* محامي الأمة الإسلامية:

وقف الشيخ ـ رحمه اللَّه ـ بقلمه ولسانه مع كل قضايا المسلمين في العالم، مع الإسلام في كل مكان واحتلت قضية فلسطين بؤرة شعوره، وصميم قلبه وفكره، وعدّ نفسه حارسًا لها بقلمه ولسانه ووجدانه.

وقف الشيخ بقلمه ولسانه مع «الإسلام الجريح في الحبشة[١]»، والإسلام المقاتل في كشمير والفلبين، وفي البوسنة والهرسك، الإسلام الصامد في أندونيسيا، وفي بنجلاديش في آسيا، وفي نيجيريا والصومال في أفريقيا أمام موجات التنصير والعلمانية، والإسلام الذي يقاوم التغريب في تركية وفي البلاد العربية.

وقف الشيخ مع اللاجئين المشردين من أبناء الإسلام في أنحاء العالم من أبناء بورما وتشاد والصومال وأريتريا وغيرهم[٢].

❑ يقول الشيخ في ألم وأسى: «إن قلبي يتفطّر عندما أرى الدم المسلم أرخص دم على الأرض، لقد استباحه المجوس واليهود والنصارى والوثنيون الملحدون.. وحكام مسلمون ولا ريب أن المدافعين عن الإسلام تكتنفهم ظروف صعبة معقدة، غير أنه بين الحين والحين ينبجس من روح اللَّه ندى يواسي الجراح، ويهوّن الكفاح، ويُبشر بالصباح. ومهما كانت الأوضاع محرجة فلا بد من بقاء الدعوة الإسلامية مرفوعة الراية، واضحة الهداية، تعلن الحق وتبسط براهينه، وتلقف الشبه وتوهي إسنادها»[٣].

---

(١) انظر حديثه في كتاب «كفاح دين» عن «مأساة المسلمين في الحبشة»، وفصل «حكومات مسيحية لشعوب مسلمة»، وفصل «ذئاب الحبشة تنهش الإسلام».

(٢) انظر حديثه عن «أحوال المسلمين في الفلبين في كتابه «علل وأدوية» (ص٢٠٩ ـ ٢١١).

(٣) «قذائف الحق» (ص١٤٨).

* الغزالي والحرية وحربه على الفساد السياسي:

كان ـ رحمه اللَّه ـ عدوًّ للاستبداد أيًّا كانت صوره، ولقد تحدّث الشيخ عن الفساد السياسي في كتابه «هموم داعية» فقال: «الفساد السياسي مرضٌ قديم في تاريخنا، هناك حكّام حفروا خنادق بينهم وبين جماهير الأمة؛ لأن أهواءهم طافحة، وشهواتهم جامحة.. لا يؤتمنون على دين اللَّه ولا دنيا الناس.. ومع ذلك فقد عاشوا آمادًا طويلة.

ولقد عاصرت حكّامًا تدعو عليهم الشعوب، ولا تراهم إلا حجارة على صدرها توشك أن تهشمه، انتفع بهم الاستعمار الشرقي والغربي على سواء في منع الجماهير من الأخذ بالإسلام والاحتكام إلى شرائعه، بل انتفع بهم في إفساد البيئة حتى لا تنبت فيها كرامة فردية، ولا حرية اجتماعية أيًّا كان لونها».

وقال: «إن الفقه الدستوري في أمتنا يجب أن تنحسر عنه ظلال الحجاج، وعبيداللَّه بن زياد، وبعض ملوك بني العباس، وبعض سلاطين آل عثمان».

إن الضلال في تصوير الإسلام يُفقد الإسلام حق الحياة.. إنهم يحسنون الإماتة، ولا يحسنون الإحياء.

«إنني أومن بالشورى، وأزدري الاستبداد السياسي من أعماق قلبي، وأردّ إليه أغلب هزائم أمتنا خلال تاريخها».

وهو يبشر بالأمل ويفقه الثوابت من مذهب أهل السنة والجماعة من عدم الخروج المسلح والصبر على الحاكم الظالم فيقول:

«الواقع أن أنسًا رضي الله عنه كان يقصد بحديثه منع الخروج المسلح على الدولة بالطريقة التي شاعت في عهده ومن بعده، فمزّقت شمل الأمة، وألحقت بأهل الحق خسائر جسيمة، ولم تنل المبطلين بأذى يُذكر.

وأنس بن مالك ﷺ أشرف دينًا من أن يمالئ الحجاج أو يقبل مظالمه، ولكنه أرحم بالأمة من أن يزجّ بأتقيائها في مغامرات فردية تأتي عليهم، ويبقى الحجاج بعدها راسخًا مكينًا.

وتصبيره الناس حتى يلقوا ربهم - أي حتى ينتهوا هم - لا يعني أن الظلم سوف يبقى إلى قيام الساعة، وأن الاستكانة الظالمة سنة ماضية إلى الأبد! لقد سلخ الإسلام من تاريخه المديد أربعة عشر قرنًا وسيبقى الإسلام على ظهر الأرض ما صلحت الأرض للحياة والبقاء، وما قضت حكمة اللّه أن يختبر سكانها بالخير والشر.

ويوم ينتهي الإسلام من هذه الدنيا فلن تكون هذه دنيا؛ لأن الشمس ستنطفئ، والنجوم ستنكدر، والحصاد الأخير سيطوي العالم أجمع فليخسأ الجبناء دعاة الهزيمة وليعلموا أن اللّه أبرّ بدينه وعباده مما يظنون.

إن الباطل لن تلين قناته بسهولة، بل ربما وصل في جرأته على الإيمان أن تقتحم حدوده ويهدد حقيقته، ويحاول الإجهاز عليه.

وعندما تنجلي الظلماء عن رجال صدقوا ما عاهدوا اللّه عليه يقاومون الضلال بجلد، ولا يستوحشون من جو الفتنة الذي يعيشون فيه ولا يتخاذلون للغربة الروحية والفكرية التي يعانونها، ولا يزالون يؤدون ما عليهم للّه حتى تنقشع الغمّة، ويخرج الإسلام من محنته مكتمل الصفحة، بل لعلّه يستأنف زحفه الطهور فيضمّ إلى أرضه أرضًا وإلى رجاله رجالاً.

ليست الغربة موقفًا سلبيًا عاجزًا، إنها جهاد قائم دائم حتى تتغيّر الظروف الرديئة ويلقى الدين حظوظًا أفضل.

وليس الغرباء هم التافهين من مسلمي زماننا، بل هم الرجال الذين رفضوا الهزائم النازلة، وتوكلوا على اللّه في مدافعتها حتى تلاشت!».

إن لجواد هذه الأمة نهضته من هذه الكبوة، وإن لسهمها قوطة بعد

هذه النبوة.

إن ترك الشر ليس هو غاية التدين، وإن اعتزال الفتن فقط ليس هو آية الإيمان، وهذا عجز سببه ضعف الهمة وسقوط الإرادة.

❑ وإني لأذكر قول المتنبي فيه:

إنّا لفي زمنٍ ترك القبيـــح به من أكثر الناس إحسان وإجمال

أجل، فإن ترك الصغائر غير بلوغ الأمجاد، وتجنب التوافه والرذائل غير إدراك العظائم، وتسنم الهام.

والرسول الكريم عندما يأمرنا باعتزال الفتن لا يُنهي واجبنا عند هذا الحد.. سوف يبقى بعد ذلك الاعتزال الواجب، بناء الأمة على الحق، ومدّ شعاعاته طولاً وعرضًا حتى تنسلخ كل ظلمة»[1].

*** في وجه العلمانية:**

ولعل أبرز المعارك التي خاضها الشيخ، وأطولها نفسًا، وأشرسها هجومًا هي معركته مع (العلمانية) اللادينية، التي تعارض حاكمية اللَّه لخلقه، وسيادة الشريعة على الناس، وتعزل الدين عن الحياة وعن المجتمع، وتحارب الذين يدعون إلى الإسلام الشامل، وتعتبرهم دعاة الرجعية وأعداء التطور.

وقد بدأ هذا في كتابات الشيخ منذ وقت مبكر، حينما رد على صديقه الشيخ خالد ـ في فصل (قومية الحكم) من كتابه: (من هنا نبدأ).

بيد أن الشيخ وقف بقوة وحرارة في وجه العلمانيين الأصلاء في العلمانية، المبغضين علانية لشريعة الإسلام، المجاهرين بتحقير حكم اللَّه

(١) «قذائف الحق» (ص٢٠٨ ـ ٢١١) باختصار وتصرف يسير.

ورسوله، الداعين إلى تغريب المجتمعات الإسلامية.

كانت معارك الشيخ مع هؤلاء تتسم بشيء من الشدة والحدة بقدر نفور هؤلاء من الإسلام، وتنفيرهم منه، ومعاداتهم للدعاة إليه، وكلما أوغل هؤلاء في عداوة الدين والشريعة كان قلم الشيخ كأنما هو شعلة من نار، نار تكوي وتحرق، ولا يخبو لها لهيب، كما نرى ذلك واضحًا في تعقب الشيخ لسقطات محمد سعيد العشماوي، ونصر أبو زيد، وفرج فودة، الذين أظهرت كتاباتهم مبلغ كراهيتهم لدعوة الإسلام، وتحكيم شريعته.

والشيخ يقول عن هذا النوع من العلمانيين: لماذا لا نسمي هؤلاء بأسمائهم الحقيقية؟ والاسم الحقيقي لهؤلاء: المرتدون، فهؤلاء قد مرقوا من الدين مروق السهم من الرمية، ولم يعد في قلوبهم توقير للّه تعالى، ولا تعظيم لكتابه، ولا احترام لرسوله، ولا انقياد لشريعته، ويعجب الشيخ من موقف هؤلاء المرتدين في حقيقة أمرهم، لماذا يحرصون على أن يحتفظوا باسم الإسلام، وأن يظلوا محسوبين على المسلمين، والإسلام منهم براء، وهؤلاء هم الذين ينطبق عليهم قول المثقّب العبدي:

فإما أن تكون أخي بصدق ... فأعرف منك غثّي من سميني!

وإلا فاطرحني واتخذني ... عدوًّا أتقيك وتتقيني!

كان هؤلاء العلمانيون يظهرون في أثواب متباينة الأشكال. فقد يلبسون لبوس اليسار الثوري، وقد يلبسون لبوس اليمين الليبرالي، وقد يتحلون بعباءة القومية العربية، وقد يبدون في أثواب أخر، ولكنهم جميعًا شركاء في الجرأة على اللّه تباركت أسماؤه، وفي التعالم عليه جل علاه، والاستدراك على شرعه! فهم يزعمون أنهم أعلم من اللّه بخلقه، وأبر منه بعباده. وأنه تعالى حين شرع لهم ما شرع لم يكن يدري ما يحدث لهم من تطورات، وما يجري عليهم من أحداث، فهم لذلك يرفضون حكمه وحكم رسوله، ولا

يرتضون مرجعية الإسلام فيما شجر بينهم.

وأكثر ما يغيظ الشيخ من هؤلاء العلمانيين الذين لا دين لهم هو: دجلهم وكذبهم على اللَّه عز وجل! وذلك حين أقحموا أنفسه على دين اللَّه، وليسوا من اللَّه في كثير ولا قليل. وهم الذين يعتبرهم الشيخ (نباتات سامة في حقول الإصلاح)!

إنهم ورثة مسيلمة الكذاب الذي زعم أنه نبي يوحى إليه، ولم يوح إليه بشيء، وظن المغفل أنه يدرك المجد بهذا الدجل المكشوف، فلم يدرك إلا القاع، وبقي اسمه إلى الأبد رمزاً للكذب.

وتتابع الكذابون في عصور مضت، فإذا أناس لا أثر لهم في ميادين الفلسفة، ولا أثر لهم في مجالات العلم، ولا ثقة بعقولهم في شيء طائل يقتحمون ميدان الدين، ثم يزعم هذا أنه نبي بعد محمد! ويزعم أن اللَّه قد حلّ فيه، أنه مجلي لبهائه!!

وظاهر أن الاستعمار العالمي أراد الكيد للإسلام، والنيل من تعاليمه، فاستغل هذه «المانيخوليا» عند أصحابه، وروج لها واعتبر أصحابها مؤسسي أديان ومحدثين عن اللَّه، وساندهم بدهاء وإلحاح، فكان له ما أراد أو بعض ما أراد.

وعندما شرع المسلمون يفيقون من غفوتهم، ويثوبون إلى رشدهم، ويدمغون الكهان الجدد لاحقهم الاستعمار بنفر آخرين، هم امتداد للنبوات الكاذبة في العصور السابقة، بفرض هؤلاء أنفسهم على الإسلام، بغية الإجهاز عليه من داخله، ولا شيء لديهم من علم أو فلسفة إلا ما ورثوه عن مسيلمة وغلام أحمد وبهاء اللَّه، مزيج من المانيخوليا، والجراءة والكهانة والادعاء.

هذا دجال ظهر في السودان يأخذ القرآن المكي ويرفض القرآن

المدني[١] ، ويوفر له الأمن سنين عددًا!! وهذا دجال ظهر في مصر يقبل الكتاب ولا يقبل السنة[٢] .

وبديه أن كلا الشخصين لا يعتمد في مزاعمه على إسناد علمي، لا ينجع في مقارعة حجة بحجة. ماذا تقول لمسيلمة أو لسجاح أو لطواغيت القاديانية والبهائية، أو لطلائع الغزو الثقافي الذين يقسمون الوحي قسمين، فيمسكون قسمًا، ويطرحون قسمًا؟

هناك منطق عقلي أو تجريبي يحكم المقولات الفلسفية والقضايا المادية، أما هؤلاء فمنزع آخر تسيِّره أمراض نفسية، واضطرابات ذهنية، ونوع من الجنون المقدس أو عبادة الذات، وعلى الدهماء أن تسمع وتطيع..

وتعاليم الإسلام في هذه الأيام تهبُّ عليها رياح صفراء من مصادر جديرة بالتفرُّس والحذر..

وغايتها لا تخفى علينا، إنها الإطاحة برسالة محمد كلها تحت عناوين مفتعلة، الاعتماد على القرآن واطراح السنة! الاعتماد على القرآن المكي وترك القرآن المدني! تعطيل نصوص قائمة قد تكون عبادية كشريعة الصيام فيقال: الصيام يضرّ الإنتاج فلنلغ رمضان! وقد تكون معاملات اجتماعية كأنواع الحدود والقصاص، فيقال: إقامة هذه العقوبات تكثر العاهات وتشيع البطالة فنتجاوزها إلى ما هو أعدل منها وأرعى للصحة العامة!!

---

(١) يقصد: محمود محمد طه، الذي قضت المحكمة العليا في السودان بردته وبالدعوة إليها.

(٢) يريد حسين أحمد أمين، الذي كتب في مجلة (المصور) مقالات هاجم فيها الشريعة والسنة وفقهاء الأمة، والسلف الصالح وعمر بن عبدالعزيز، ودافع عن طغيان الحجاج. انظر ردّنا عليه في كتابنا: «فتاوي معاصرة» (ج٢). فتوى: عمر بن عبدالعزيز وهل كان جاهلاً بالسياسة؟ وانظر كذلك في الرّد عليه كتاب: الكاذب الجزين، نشر دار الصحوة وتأليف منذر الأسعد وتقديم الدكتور عبدالحليم عويس.

* فضح عملاء الغرب:

ومما أخذه الشيخ على نفسه: أن يفضح عملاء الغرب الصليبي والشرق الشيوعي في ديارنا، ويهتك أستارهم التي يتخفون وراءها ويتخذون لها عناوين شتى، من الحرية والتقدمية والتطور والتحرر والتنوير، وما شابهها.

لا بد من تعرية هؤلاء الذين لا همّ لهم إلا ترويج سلع الغرب الفكرية في أرضنا، وبين أهلنا، وإن كان فيها السم القاتل لأمتنا، فهذا السم يوضع في الدسم أو في الحلوى، حتى يقبل ويُشتهي.

من أجل ذلك هاجم سلامة موسى، ولويس عوض، وميشيل عفلق، وقسطنطين زريق، وجورج حبش، وغيرهم من النصارى كما هاجم لطفي السيد، وساطع الحصري، وطه حسين، ونزار قباني، وعبدالرحمن الشرقاوي، وصلاح جاهين، وحسين أمين، وغيرهم من المسلمين، سواء منهم من تسربل برداء القومية أو الاشتراكية أو التحررية، أو أي رداء كان.

ونأخذ هنا مثالاً لموقفه من طه حسين ومحاولات أنصاره العمل على تخليد ذكراه، باعتباره الرائد الأول في الأدب، والقائد الأول للفكر!

❑ يقول الشيخ في كتابه «علل وأدوية»:

«قرأت للدكتور طه حسين، واستمعت له، ودار بيني وبينه حوار قصير مرة أو مرتين فصد عني وصددت عنه!

أسلوب الرجل منساب رائق! وأداؤه جيد معجب، وهو بين أقرانه قد يدانيهم أو يساويهم ويستحيل أن يتقدم عليهم.. بل عندما أوازن بينه وبين العقاد من الناحية العلمية أجد العقاد أعمق فكرًا، وأغزر مادة، وأقوم قيلاً، وأكاد أقول: إن الموازنة المجردة تخدش قدر العقاد.

وأسلوب زكي مبارك أرشق عبارة وأنصع بيانًا من أسلوب الدكتور طه حسين، ولولا أن الرجل قتله الإدمان لكان له شأن أفضل.

ودون غمط لمكانة الدكتور الأدبية نقول: إنه واحد من الأدباء المشهورين في القرن الماضي، له وعليه.. وحسبه هذا.

بيد أنني لاحظت أن هناك إصرارًا على جعل الرجل عميد الأدب العربي، وإمام الفكر الجديد، وأنه زعيم النهضة الأدبية الحديثة.

ولم أبذل جهدًا مذكورًا لأدرك السبب، إن السبب لا يعود إلى الوزن الفني أو التقدير الشخصي، السبب يعود إلى دعم المبادئ التي حملها الرجل، وكلف بخدمتها طول عمره، إنه مات بيد أن ما قاله يجب أن يبقى، وأن يدرس، وأن يكون معيار التقديم.

❑ تدبر هذه العبارة للدكتور «العميد»:

«إن الدين الإسلامي يجب أن يعلم فقط كجزء من التاريخ القومي، لا كدين إلهي نزل بين الشرائع للبشر، فالقوانين الدينية لم تعد تصلح في الحضارة الحديثة كأساس للأخلاق والأحكام، ولذلك لا يجوز أن يبقى الإسلام في صميم الحياة السياسية! أو يتخذ كمنطلق لتجديد الأمة (!) فالأمة تتجدد بمعزل عن الدين».

ويمكن الرجوع لمثل كتابه: «مستقبل الثقافة في مصر» لتجد أشباهًا لهذه العبارات السامة.

ويشاء القدر أن تقع عيني على هذه العبارة: وقد قررت (إسرائيل) وقف الطيران في (شركة العال) يوم السبت احترامًا لتعاليم اليهودية!

إن الإسلام وحده هو الذي يجب إبعاده عن الحياة العامة، أما الأديان الأخرى فلتقم باسمها دول، ولترسم على هداها سياسات.

وظاهر أن الدكتور طه حسين كان ترجمانًا أمينًا لأهداف لم تعد خافية على أحد عندما طالب بإقصاء الإسلام وأخلاقه وأحكامه، وعدم قبوله أساسًا

تنطلق الأمة منه، وتحيا وفق شرائعه وشعائره.

قائل هذا الكلام يجب أن يكون عميد الأدب العربي في حياته وبعد مماته، وأن تشتغل الصحافة والمسارح بحديث طويل عن عبقريته، ليكون علمًا في رأسه نار، كما يقول العرب قديمًا.

أما العقاد وإسلامياته الكثيرة فيجب دفنه ودفنها معه، ومع أن الرجل حارب الشيوعية والنازية وسائر النظم المستبدة، وساند «الديمقراطية» مساندة مخلصة جبارة، فإن العالم «الحر» ينبغي أن يهيل على ذاكره التراب، ليكون عبرة لكل من يتحدث في الإسلام، ولو بالقلم! فكيف إذا كان حديثًا بالفكر والشعور، والدعوة والسلوك، والمخاصمة والكفاح؟ هذا هو الخصم بالفناء والازدراء.

والقوى التي تعمل دائبة على تخليد الدكتور طه حسين، وتجديد فكره، وإعلاء شأنه معروفة لدينا، ونريد أن نكشف عنها، إذ لا معنى لبقائها في جحورها تلدغ ثم تستخفي، وتنال منا باسم حرية العلم، وهي لا تعرف من الحرية إلا لونًا وحيدًا: كيف تضرب الإسلام وتطفئ جذوته وتميت صحوته؟

ذلك، إلى أن الريح تعصف اليوم ضدنا أكثر مما كانت تعصف يوم ألف الدكتور طه ضد ديننا وتراثنا، لقد أقامت اليهودية على أنقاضنا دولة تريد اجتياح حاضرنا ومستقبلنا، وهي تربي النساء والأطفال لتحقيق هذه الغاية، وتعتبر المدرسة ثكنة عسكرية، والثكنة معبدًا دينيًا، والتوراة دينًا ودولة»[1].

* علماء الأزهر وحملة نابليون والردّ على الخبيث صلاح جاهين:

كما فضح الغزالي العملاء، دافع بقوة عن الشرفاء، ومنهم علماء الأزهر، الذين اتهمهم بعض الشيوعيين أنهم استسلموا لنابليون!

(١) «علل وأدوية» (ص٧٩ ـ ٨١).

يقول الشيخ:

«لقد تابعت بعض العروض الروائية والسير التاريخية لرجالنا وأحوالنا الأولى، فوجدت العجب من تزوير التاريخ والكذب على الأحياء والأموات.

زعم بعضهم أن علماء الأزهر لاذوا بالتقية عند مجيء نابليون بونابرت إلى مصر ولم يؤدوا واجبهم الوطني، وضربت كفًا على كف لهذه الصفاقة الغريبة..!

إن جثث العلماء المسلمين بعثرت حول القلعة وهم يقاومون الفرنسيين، وضرب الأزهر بالمدافع، ودخله الجيش الفرنسي بخيله، وقتل أحدُ الأزهريين القائدَ «كليبر»، وانتقم الفرنسيون منه فقتلوه شر قتلة. فكيف يطوى ذلك كله، ويذكر أن النسوة المعلمات هن اللائي قاومن الفرنسيين؟

قبحك اللَّه من مؤلف كذوب.. ولكن التهجم على الإسلام هدف يشترك فيه الرعاع وبعض الرؤساء عمدًا، لينالوا من الإسلام نفسه، ولتعيش الأمة بلا عقيدة، ولتجد الصهيونية الطريق أمامها مفتوحًا إلى ما تريد.

وإلى القارئ هذا الشاهد الآخر من شواهد التاريخ والحملة على الإسلام وعلمائه:

كتب السيد صلاح جاهين شيئًا من الشعر[1] العامي عن مصر وتاريخها الطويل جاءت فيه هذه الكلمات:

زحف الفرنسيس وزحفت قبلهم جواسيس
غايصين لقاعها وعارفين باعها من باريس
وايش عمل القاع قصير الباع.. في القمة
وايش تعمل العمة في البرنيطة يا أئمة؟

(١) ناسف على تسميته بالشعر والشعر منه بريء.

العمة ما اتكلمت؟ (!!) وتن صوتها حبيس!
غير مرة لما البوليس قال: نوروا الفوانيس!
وده كفر طبعًا. ولا يدخل لنا في ذمة
اطمن الغرب أن في بلدنا ناس رمة
وانهش يا ديب فينا واقضي بمنتهى الهمة
على اسـم مصـر

وأنا أعتذر أولاً عن تدوين هذه التعابير السوقية في صحيفة محترمة، لا يجوز أن تنشر أمام العامة، ولكني مضطر لتفنيد ما حوت من إفك خسيس على تاريخ الجهاد العلمي لأمتنا..

يرى هذا الكاتب أن علماء الأزهر قابلوا الغزو الفرنسي لمصر بصوت محبوس، وهمة مشلولة، وأنهم ما تحركوا محتجين إلا عندما أنار الفرنسيون القاهرة؛ لأن إبقاء المصابيح كفر، وإشاعة الظلام بالليل هو ما يعمل له علماء الدين (الرمم)..!!!.

ولست أستغرب من منكر للّه أن يفتري على خلقه! ولكن الافتراء يوم يعلن على أنه علم، وعهد الناس قريب بالحقيقة، فإن الأمر يستدعي الكي لا التكذيب المعتاد..

ولقد علم الغرب والشرق أن الحملة الفرنسية لما وطئت أرض مصر قاد الإسلام ـ وحده ـ حركة المقاومة، وقاتل الفرنسيين شبرًا شبرًا في هذا الوطن المحروب، وأن علماء الدين كانوا قادة هذه المقاومة الباسلة ووقودها المتوهج.

ولما انتفضت القاهرة ضد الغزاة، وكان الجامع الأزهر مصدر الثورة اقتحمت الخيل الفرنسية حرمه، ويقول الجبرتي: «إنهم تفرقوا بصحنه ومقصورته، وربطوا خيولهم بقبلته، ودشتوا المصاحف والكتب على الأرض، وبأرجلهم ونعالهم داسوها وأحدثوا فيه ـ أي بالوا داخله ـ وشربوا الشراب ـ أي الخمر ـ وكسروا الأواني وألقوها بجوانبه».

ويحكي التاريخ العدل الصدوق أن الشيخ الشهيد سليمان الحلبي كان ـ قبل أن يقتل بأشنع الطرق ـ رابط الجأش، وصرح في التحقيق الذي أجري معه أنه قتل الجنرال «كليبر» في سبيل اللَّه، وكان ينظر إلى من حوله «بعين رفيعة».

ولقد قبض الفرنسيون على الشيخ أحمد الجوسقي والشيخ أحمد الشرقاوي، والشيخ عبداللَّه الشبراوي، والشيخ يوسف المصيلحي، وعرّوهم من ثيابهم، وصعدوا بهم إلى القلعة، فسجنوهم إلى الصباح، ثم أنزلوهم وقتلوهم بالبنادق، وألقوهم من السور خلف القلعة، ولم تعرف لهم قبور. هكذا يذكر الجبرتي في تاريخه، ويجيء رجل شيوعي وغد ليقول في حق علماء الأزهر كلهم:

وأنا لو «نابليون» لكنت عدمتهم تقتيل
ما دمت أقدر أسيح دمهم في النيل
واخلع ذقونهم وابين أنها تضليل
على اسم مصر

أهكذا يكون تزوير الوقائع، وتشييع شهداء المقاومة الشريفة؟ ولم هذا كله؟ لنثبت بطريق الخداع والكذب أن الدين «أفيون الشعوب»، مع أن كل شيء يصرخ هنا بأنه محرر الشعوب ونافخ نارها ومعلي منارها؟

ونجيء أخيراً للقصة السمجة، قصة أن علماء الإسلام قاوموا تعليق المصابيح على البيوت؛ لأن الظلمة طاعة، والضوء معصية! كما يذكر رجال الأهرام الأغر.

إنه أضاف بهذه القصة بمنقبة لنابليون لم تعرف له، ألم يكتشف أنه جاء من فرنسا بجيشه كي ينير القاهرة؟

واتهم الإسلام بمثلبة لم يوردها أشد أعدائه صغاراً، ألم يقف علماؤه

ضد إنارة الشوارع والحارات؟

وقصة تكليف الأهالي بإنارة الطريق أمام بيوتهم أوردها الجبرتي، وذكر حولها بعض وقائع السلب والنهب التي تبعتها.

ورأينا أن هذا التصرف الفرنسي كان إجراء عسكريًّا ليحكم الغزاة وثاق القاهرة الجريح، وتشتد قبضتهم عليها، حتى لا يستخفي القناصة والفدائيون في جنح الليل.

لكن سدنة القومية العربية الذين يقودون صحافتنا المعاصرة، يريدون تشويه كل شيء لتحقيق مآربهم، وفرض مبادئهم.

وباسم القومية العربية، يحارب البيان العربي الصحيح، ويتم التمهيد للعامية الهابطة.

وباسم القومية العربية، ينقم العرب على أضوأ اسم في تاريخهم، وأشرف إنسان مشى على الثرى في الأولين والآخرين.. ينقمون على محمد ابن عبدالله وينالون من رسالته!

إن هؤلاء الناس ـ بداهة ـ ليسوا مسلمين. فهل هم عرب كما يوصفون أو يتصفون؟

كلا. إن هؤلاء ـ سواء كانوا أجراء أو مخلصين ـ أفضل لإسرائيل من كل أسلحة الدنيا التي ترد إليها»[1].

*** صلاح جاهين الملحد وتلميذته سندريللا الشاشة وضياع المُخَدَّرين من شباب الأمة في غيبوبة فكرية وفسق لا تفيق الأمة منه إلا على الجزاء العادل من ربك لمن حاد عن طريقه:**

يا لضياع الأمة حين يعلو الأقزام والزنادقة ولكن الإسلام لا بواكي له!!

(١) «قذائف الحق» (ص٩١ ـ ٩٤)، و«الشيخ الغزالي كما عرفته» (ص٧٧ ـ ٨٨).

صلاح جاهين الملحد المستهزئ الساخر من رسول اللَّه ﷺ ومن الإسلام يكال له المديح في وسائل الإعلام، وينخدع الدهماء والرعاع به وكأنه صلاح الدين ويفسح لكلامه الرقيق المجال وكأنه شعر حسان، وتشدو بالكلام الماجن تلميذته سندريللا الشاشة التي فُتن بها الرعاع والدهماء.

ويتكلم الفُسّاق من أهل الفن عن روائعها «خللي بالك من زوزو» و«الدنيا ربيع» و.. وصباحة وجهها وتعبيرات قسماته وتثنيها ورقتها ورشاقتها».

ونسوا أنها سقطت في وحل الشيوعية وزواجها السابق من المخرج الشيوعي كما قالت جريدة الأهرام العربي..

ومعاذ اللَّه أن نقول عنها ما قالته اعتماد خورشيد في كتابها «انحرافات أهل الفن» ونحن أبعد الناس عن قذف الناس ولكن ما كانت نهايتها:

يبتليها اللَّه بسرطان في وجهها الذي طالما أغرت به، وشرخ في عمودها الفقري الذي طالما تثنت به، وكآبة لا تفارقها، وبُعد عن الناس بعد أن كانت السندريللا، وترهل بالغ في جسدها بعد رشاقتها.. ثم انتحار أو قتل في بلد الضباب لندن» ولا يظلم ربك أحدًا، فهل من معتبر، والجزاء عند اللَّه من جنس العمل.

فهل رجع الناس وتلمّسوا العبرة من حكايتها.. خرج الغوغاء في جنازتها في مظاهرة كبيرة كبيرة وهم يرددون «لا إله إلا اللَّه» ويثنون على الراحلة عظيم الثناء!!! ونقول: قد أفضت إلى ما قدمت، وحسابها على اللَّه، فاحذر أن يفضحك ميراثك يوم موتك وعند القدوم على ربك، وإنما يحشر الناس على نياتهم، وقد قال ﷺ: «**من أراد أن يعلم ما له عند اللَّه فلينظر ما للَّه عنده**».

*** الشيخ الغزالي في مسجد عمرو بن العاص وموقفه العظيم من «قانون الأحوال الشخصية الزائف»:**

«ومن المواقف التي تذكر للشيخ: موقفه من قانون الأحوال الشخصية، الذي يعرف عند المصريين بـ (قانون السيدة جيهان)، يقصدون قرينة الرئيس الراحل أنور السادات، التي كانت متحمسة له، وقد هاجمه الشيخ في قاعة الشيخ محمد عبده بالأزهر وصفقت له الجماهير؛ ووقفت بجانبه.

وكان موقف الشيخ في هذه القضية مماثلاً لموقف شيخنا الدكتور عبدالحليم محمود ـ الإمام الأكبر شيخ الأزهر ـ ولذا سقط القانون أو قل جمّد في عهده، ثم وجد من الشيوخ ـ للأسف الشديد ـ من أجازوه!»[1].

❑ يقول الشيخ محمد المجذوب في كتابه «علماء ومفكرون عرفتهم» (١/ ٢٧٥ ـ ٢٧٧) في مسجد عمرو:

هذا المسجد الذي يحمل إلى قلوب المؤمنين العارفين، نفحات المدّ العظيم الذي أضاء مصر بنور الإسلام على أيدي الطليعة المباركة من تلاميذ النبوة كان قد استحال أو كاد خلاء كالخراب يوشك ألا يجتمع فيه نصاب الجمعة على المذهب الشافعي، وكأني بالدكتور عبدالحليم محمود، وكان يومئذ وزيراً للأوقاف، قد شاء إحياء الغابر من جلال هذا المسجد، فدعا الشيخ الغزالي ليبلغه رغبته في أن يتولى خطابته.. وكان هذا بنظر الغزالي أشبه بالنفي له عن أوساط التوجيه، لذلك راجع الوزير يطلب إعادته إلى خطابة الجامع الأزهر الذي ألفه وألفه روّاده على مدى عشر سنوات، ولكن الوزير أصر على تكليفه وقال له: اذهب إلى مسجد عمرو، وستجدني بين المستمعين إليك.

---

(١) «الشيخ الغزالي كما عرفته» للشيخ القرضاوي (ص٣٣٨).

وكانت هذه لفتة طيبة أقنعت الشيخ بقبول التكليف، وما إن ذاع خبر هذا التوجيه حتى استبشر الناس الذين أحزنهم أن يفتقدوا هذا الصوت المؤثر، وأقبلوا على المسجد منذ الجمعة الأولى فملئوه وصحنه، ثم مضى الأمر على التزايد جمعة بعد أخرى، حتى قفز العدد عن الألف إلى ما يُقارب الثلاثين ألفًا، يتوافدون إليه من مختلف أنحاء القطر.

وتراءى للشيخ من خلال ذلك الإقبال عظم المسئولية فاستخار اللَّه وتوجه إليه بالدعاء أن يوفقه إلى إعلاء كلمته وتثبيت حقائق الإسلام في هاتيك القلوب المتلهفة إلى قولة الحق.

ورأى أنفع شيء لهذه الآلاف المؤمنة أن يعالجها بالقرآن، وعلى المنهج الذي أفاده من تأملاته الخلوية في ليمان طرة.. وهكذا مضى بها في حدائق «الأنعام» و«يس» و«الواقعة» و«الفتح» و«محمد» ﷺ.

وقادته حكمة اللَّه أن يبدأ بسورة «النساء» في الوقت نفسه الذي اختارته وزارة الشئون الاجتماعية لإثارة موضوع قانون الأسرة، وما يُراد له من التغيير.

*** قضية الساعة:**

وتتصاعد موجة البحث، ويكون من ردود الفعل الطبيعية لمحاولات أنصار القانون المراد، أن اتجه أولو الفكر في مسجد عمرو إلى الدعوة لمؤتمر يُعقد في الأزهر، ويضم المشتغلين بالقضايا الإسلامية لمعالجة القضية على نطاق أكثر موضوعية.. وكذلك كان، وقد حضر ذلك المؤتمر كثيرون يمثلون مختلف الأوساط العلمية والسياسية، فعلماء من كبار الأزهريين، وأعضاء من مجلس الشعب، وأساتذة وطلاب من مختلف الكليات، إلى آخرين من العاملين في الجماعات الإسلامية.. وشارك في الاجتماع سفير نيجرية، حتى بلغ الحضور قرابة خمسة عشر ألفًا يمكن القول بأنهم يعكسون بمجموعهم رأي

الكثرة الغالبة من الشعب المصري.

وطرحت قضية الساعة في جو من الصراحة الواجبة، وكان الصديق المترجم في بحثه الموضوع[1] بمثابة المرافع القضائي الذي يدعم أفكاره بالحجج الدامغة والوثائق الحاسمة.

وانتهى النقاش أخيرًا بإجماع الحضور ودون معارض إلى المقررات التالية:

١ ـ لا يجوز النظر في قانون الأسرة قبل تعديل قوانين العقوبات كلها لتتفق مع مبادئ الشريعة.

٢ ـ يضع قوانين الأسرة علماء الأزهر فقط.. لا الوزارة.

٣ ـ استنكار ورفض كل تهجّم تقوم به أجهزة الإعلام على التعاليم الإسلامية وأوضاع المسلمين.

وعقب ذلك خرج جمهور المؤتمرين، ومعهم الطلاب، في مظاهرة ما زالت تزداد بالمنضمين إليها حتى أحاطت بمجلس الشعب إحاطة السيل بجزيرة معزولة.

وكان هذا كافيًا لإقناع المسئولين بأن الشعب المصري غير مستعد بتمرير هذا العدوان الجديد على بقايا الشريعة الإسلامية، فوقفوا التفكير في مشروعهم ولو إلى حين.

وكان طبيعيًّا، بعد هموده العاصفة أن يتحرك القوم للبحث عن مسببها، فانتهى بهم المطاف إلى مسجد عمرو وخطيبه، وأعقب ذلك تنحية الشيخ عن منبره.. ثم جاء التدبير الآخر بنقله من وظيفة مدير عام للدعوة الإسلامية بوزارة الأوقاف إلى منصب مستشار فيها» ا.هـ.

---

(١) يعني بذلك «الشيخ محمد الغزالي».

*** وقفته الرائعة في «ملتقى الفكر الإسلامي» في الجزائر في الثمانينات وردّه على الدكتور البوطي أمام الرئيس الشاذلي بن جديد:**

قال الشيخ القرضاوي:

«ومن المواقف التي تذكر للشيخ: موقفه في (ملتقى الفكر الإسلامي) في الجزائر في أواخر الثمانينات، عندما وقف صديقنا الدكتور سعيد رمضان البوطي ـ الداعية الإسلامي المعروف ـ يتحدث عن ضرورة اشتغال الدعاة بالتربية والتوجيه، وترك السياسة لأربابها، ويكفي الحكام أو الساسة ما يعانون من متاعب الحكم، وآفات السياسة.. إلى آخر ما قال ـ غفر اللَّه لنا وله ـ حول هذا الموضوع، مما أثار الحاضرين في الملتقى وأقلقهم.

وكان الرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد حاضرًا في ذلك الوقت، وشعر المشاركون بالحرج، وهنا طلب الشيخ الغزالي الكلمة، وصعد إلى المنصة، وأثنى على صديقه الشيخ البوطي، ولكنه خطَّأه في توجهه، وإن العالِم المسلم لا يسعه أن يسكت عن باطل، أو يغمض عن ظلم أو يتغاضى عن المنكرات من حوله، وأكبرها تعطيل الحكم بما أنزل اللَّه، وأن الإسلام لا يعرف الفصل بين الحكم والعلم، وأن المسلمين إنما أصيبوا وهزموا يوم فصلوا بين الأمرين.. إلى آخر ما قال ـ حفظه اللَّه ورعاه ـ.

وبذلك وضع الشيخ الحق في نصابه، وأتى الأمر من بابه، واستراح الجميع لتعليق الشيخ، ومنهم ابن جديد نفسه، وقد ذكر الشيخ له موقفًا في أيام الجهاد، دلل به على أهمية الدين وضرورة الإيمان للسياسة وللجهاد.

لم أكن حاضرًا في ذلك الملتقى، ولكن نقله إليّ الإخوة الحضور، كما نشرته جريدة «الشرق الأوسط» في حينه»[1].

(١) «الشيخ الغزالي كما عرفته» للقرضاوي (ص٣٣٨ ـ ٣٣٩).

*** الشهادة في مقتل فرج فوده:**

ومن أخطر المواقف وأحدثها للشيخ هو موقف (الشهادة) الأخيرة في محكمة أمن الدولة، في قضية مقتل الدكتور فرج فوده[1]، تلك الشهادة التي أحدثت دويًا، بل زلزالاً في دنيا السياسة وعالم الفكر والثقافة، وتناولتها الأقلام المختلفة بالتعقيب ما بين مؤيد ومنكر ومتوقف. وجاء فيها:

س من الدفاع: قررتم فضيلتكم أنه قد يكون صاحب القولة الكفرية لديه شبهة أو لم تبلغه الحجة، فماذا إذا بلغته الحجة؟

ج: هذا ككفر الفراعنة.. جحدوا وجود اللَّه وعصوا موسى، وهذا يكون ارتدادًا صريحًا حاسمًا.

س من الدفاع: من الذي يملك إيقاع الحد على المرتد المستوجب قتله؟

ج: المفروض أن جهاز القضاء هو الذي يقوم بهذه المهمة، فهو الذي يقيم الحدود ويقيم التعازير ويحكم بالقصاص، ولا يكون ذلك لآحاد الناس حتى لا تكون فوضى.

س من الدفاع: فماذا لو كان القانون لا يعاقب على الردة والقضاء لا يوقع الحدود؟

ج: هذا عيب القضاء وعيب المسئولين عنه والقانون معيب.

س من الدفاع: ماذا لو أن القانون المطبق لا يعاقب.. هل يبقى الحد على أصله من وجوب الإيقاع؟

ج: حكم اللَّه لا يلغيه أحد.. والحد واجب الإيقاع.

س من الدفاع: ماذا لو أوقعه فرد من آحاد الأمة، وهل يعتبر مرتكبًا

---

(١) «شهادة الشيخ سجلّها حرفيًا كتاب الأستاذ أحمد السيوفي «محاكمة المرتدين» وسننقل جزءاً منها هي وشهادة الشيخ مزروعة بعد ذلك.

جريمة أو مفتئتًا على السلطة؟

ج: أنا لا أذكر أن له عقوبة في الإسلام.

*** أثر شهادة الشيخ في الحياة العامة:**

«زلزلت الأرض زلزالها بعد شهادة الشيخ؛ لمكانته المرموقة في مصر والعالم العربي والعالم الإسلامي والعالم كله، وثارت ثائرة خصوم الفكر الإسلامي، وأعداء الحل الإسلامي، وكل الحاقدين على الإسلام، والخائفين منه، والمبغضين له، وتكالبت الأقلام المسعورة والمأجورة على الشيخ الجليل، وانتهزها الشيوعيون المهزومون، والمتغربون المقهورون، والعلمانيون الموتورون، انتهزوها فرصة لينهشوا من لحم الشيخ، ناسين أن لحمه سم زعاف.

وسالت أنهار الصحف بالكلام عن الشهادة والشاهد، ولم يعبأ الشيخ بما قيل ويقال.

حتى بعض الأقباط دخل في المعركة[1]، وهاجم الشيخ بوقاحة وسلاطة، مع أنهم كانوا من قبل لا يجترئون على أن يمسوا بكلمة علماء الإسلام!

وذهب وزير مسئول إلى الشيخ في بيته ملحًا في الضغط عليه، ليصدر تصريحًا أو بيانًا، أو يكتب كلمة ـ أو نحو ذلك مما يروق له ـ يفسر به موقفه بما يشبه التراجع عما قاله في الشهادة.

ولكن الشيخ أبى إلا أن يثبت على موقفه، وظل كالصخرة العاتية،

---

(١) غالي شكري، في مجلة له في مقال طويل عن الشيخ الغزالي. (وغالي شكري تظاهر باعتناق الإسلام لاعتبارات مصلحية، ثم عاد يعمل الآن بضراوة مع الكنيسة ولا يستحي من الأغلبية المسلمة بل يستغل حالة الخضوع لأمريكا فشتم الإسلام والمسلمين كل أسبوع وكل شهر، ويستغل كل حدث لإحداث الفتنة الطائفية واحتقار الأغلبية المسلمة) (ع.ع).

التي تحطمت عليها كل تلك المحاولات، ولم تجد فتيلاً.

ولما ألح هذا المسئول على الشيخ وكرر عليه القول مرة بعد مرة، قال له في صراحة وجلاء: أنا لم أكتب مقالاً في صحيفة، ولا ألقيت خطبة في جامع، ولا محاضرة في جمعية، ولكني استدعيت للشهادة أمام المحكمة، فشهدت بما أعتقد أنه الحق الذي أدين اللَّه به وألقاه عليه، فإذا كان في شهادتي بعض الغموض، فلتدعني المحكمة مرة أخرى، وأنا أشرح لها موقفي.

وبهذا حسم الأمر، ولم يعد هناك مجال للقيل والقال.

ولكن الصحافة لم تصمت، وخصوصًا بعد أن انضم إلى شهادة الشيخ: شهادة أ.د. محمود مزروعة رئيس قسم العقائد والأديان بكلية أصول الدين بالأزهر، والتي كانت أصرح وأشد من شهادة الشيخ، والتي اتهم فيها الشاهد فرج فوده بالردة صراحة، وقدم من كتبه ومقالاته ما يدل على ذلك للمحكمة.

ومن أهم ما نشرته الصحافة المصرية في الموضوع: ما أثاره الصحفي المعروف صلاح منتصر في جريدة الأهرام القاهرية»[1] .

*** أسئلة هامة للشيخ:**

في أهرام ١٨ يوليو فجَّر صلاح منتصر عدة أسئلة لفضيلة الشيخ الغزالي، نظرًا لأهميتها نوردها ونورد الرد عليها من الشيخ، وخاصة أننا استشعرنا أن الأستاذ صلاح يحاول أن يضع فخًا للشيخ.. ولكن الشيخ الغزالي خرج من هذا المطب بسهولة متلحفًا بقواعد الشريعة. وهذا نص ما كتبه الأستاذ صلاح منتصر في عموده اليومي[2] :

---

(١) «الشيخ الغزالي كما عرفته» (ص٣٤٥ ـ ٣٤٦).

(٢) نقلاً عن كتاب «محاكمة المرتدين».

* أسئلة إلى الغزالي:

فضيلة الشيخ محمد الغزالي له منا كل احترام وتقدير.. بالإضافة إلى ما نعرفه عن عمله وجهده الكبير للقيام بدور الداعية، الذي يتمنى قوة المسلمين وخروجهم من مرحلة الضعف والهوان التي يمرون بها اليوم.

ولقد كانت لفضيلة الشيخ الغزالي شهادة أمام المحكمة التي يمثل أمامها المتهمون باغتيال الدكتور فرج فوده، وحسنا تم نشر هذه الشهادة بالنص حتى نعرف على وجه الدقة ما قاله فضيلة الشيخ.. وإن كان أحد الزملاء (الأستاذ فهمي هويدي أهرام ٧/٦) قد وجد أن حديث الشيخ أمام المحكمة يحتاج إلى إيضاح للعامة، فكتب يحاول هذا الشرح تحت عنوان «حاشية على شهادة الغزالي». ولكن يبدو أن الحاشية في حاجة إلى حاشية.. وليس في الدين حرج كما تعلمنا.. كما أن الدين كدستور للحياة لا بد أن يصل إلى الناس ببساطة حتى وإن كان معقدًا في بعض التفاصيل.. لكن مهمة الداعية أن يسهل لا يصعب، وهو ما يجعلني أرجو فضيلة الشيخ الغزالي ـ بعد أن قرأت شهادته، وبعد أن قرأت الحاشية التابعة لشهادته ـ أن يجيب عن هذه الأسئلة التي أتصور أن ملايين مثلي قد سألوها وينتظرون من فضيلة الشيخ الإجابة عنها.

* إن أسئلتي يا فضيلة الشيخ هي:

١ ـ أي الدرجات أعلى في المعصية: الكافر أم المرتد؟

٢ ـ متى يكون الفرد كافرًا ومتى يكون مرتدًا؟

٣ ـ من الذي يملك تكفير فرد ومن الذي يملك الحكم عليه بالردة؟

٤ ـ هل يحتاج الأمر السابق إلى فقهاء ودعاة دارسين وبطريقة علنية وواضحة.. أم يستطيعه أي فرد أو جماعة وبطريقة سرية ومغلقة؟

٥ ـ هناك بعض الدارسين من يشكك في حد الردة، ويقول: إن حد الردة ليس موجودًا صراحة في القرآن الكريم. . فهل هذا صحيح؟

٦ ـ هل يتعارض ما ورد في القرآن الكريم عن حرية العقيدة. واعتبار الحكم على إسلام الفرد من اختصاص الحق سبحانه وتعالى، مع القول بحق أي فرد أو جماعة في تكفير فرد أو الحكم بأنه مرتد؟

٧ ـ المعروف أن فضيلتكم اشتركتم في ندوة كان فرج فوده طرفًا فيها، وكان ذلك في معرض الكتاب في يناير من العام الماضي قبل اغتياله بنحو ستة أشهر، فهل كان قبولكم للاشتراك في هذه الندوة لمناقشة فرج فوده كمسلم أو محاولة استتابته كمرتد؟

٨ ـ حماية لأنفسنا وأبنائنا وشبابنا من الزلل، ما الذي ورد في كتابات فرج فوده يجعله في موضع الشبهة بالكفر أو الردة؟

فضيلة الإمام. . إن الدعوة ضريبة وفرض. . وأحسب أن تساؤلاتي هي أمانة في عنقك كداعية للرد عليها، مع كل تقديري واحترامي.

صلاح منتصر

*** رد من الغزالي:**

أبدأ أولاً وأشكر فضيلة الشيخ محمد الغزالي على سرعة استجابته بالرد على ما وجهته إلى فضيلته من أسئلة (أهرام الأحد ١٨/٧). . وقد أرسلها لي مكتوبة بخط اليد مع مقدمة، بأمل نشرها كاملة دون تلخيص «فإني قمت عنكم بمهمة الإيجاز، وأحسب أن أي نقص في العبارة يفسد الرد. . وهذا ما لا يرضيكم» وهأنذا أنشر نص الرد كاملاً:

١ ـ أي الدرجتين أعلى في المعصية: الكافر أو المرتد؟

جواب: الكافر أقل سوءًا من المرتد. فإنني قد أشترك في عمل تجاري

مثلاً مع كافر بالإسلام، يهوديًّا كان أو نصرانيًّا، وفي كلتا الحالتين يجب البر بهم وبذل الود لهم. أما المرتد فهو كخائن الوطن منبوذ مكروه، وقد استعمر الأوروبيون أرضنا ومحوا شرائعنا وشعائرنا، فمن انضم إليهم في عداوتهم.. فكيف نصادقه؟

٢ ـ متى يكون الفرد كافرًا ومتى يكون مرتدًا؟

جواب: الكافر امرؤ خالي البال من تعاليم الإسلام.. لعلها لم تبلغه أو بلغته ولم يقتنع بها. ولا سبيل لنا عليه إلا إذا اعتدى علينا. أما المرتد فهو رجل كان منا وعرف ما نحن عليه ثم رأى لمأرب خاص أن ينضم إلى خصومنا، وأن يؤيدهم بما يستطيع. أي أنه خائن غادر. أما إن كانت لديه شبهة عقلية فلا بد من إزالة شبهته ومحو ما يتعلق به من أوهام ولو ظل سنين على قيد الحياة.

٣ ـ من الذي يملك تكفير فرد أو الحكم عليه بالردة؟

جواب: أهل الذكر وحدهم.. أعني الراسخين في العلم، فإن اتهام فرد بالكفر جريمة، والإسلام دين مضبوط التعاليم.. فمن استباح الخمر مثلاً وسخر من حرمتها، أو من ترك الصلاة جاحدًا واستهزأ بشريعتها فليس بمسلم، بل هو ناقض للمجتمع، ومنكر للوحي وخارج على الأمة.

وسلطة الاتهام بالكفر محددة، وليست كلأً مباحًا لأي إنسان.

٤ ـ هل يحتاج الأمر السابق إلى فقهاء ودعاة دارسين وبطريقة علنية واضحة، أم يستطيعه أي فرد أو جماعة وبطريقة سرية مغلقة؟

جواب: قلنا: إن الفقهاء الثقات وحدهم هم مصدر الفتوى. ورأيهم يكون واضحًا ومعلنًا. إلا إذا كان الإسلام مضطهدًا وحرية العمل به مصادرة. إن جو الحرية الرحب هو الذي يستطاع الأخذ والرد فيه، ولن

تكون الحرية لطرف واحد بداهة، بل تضمن الحرية لجميع الأطراف يقولون ما لديهم في أمان.

وبقيت أربعة أسئلة أخرى سبق أن وجهتها إلى فضيلة الشيخ.. أكمل بإذن اللَّه غدًا رده عليها.

صلاح منتصر

*** بقية رد الغزالي:**

في عمود أمس نشرت النص الكامل لما تضمنته رسالة فضيلة الشيخ محمد الغزالي ردًا على أربعة أسئلة سبق أن وجهتها إليه، وفيما يلي بقية إجاباته عن أربعة أسئلة أخرى أنشرها بالنص دون انتقاص حرف واحد.. حتى علامات التعجب، فهي كما وردت في رسالة فضيلته:

٥ ـ هناك بعض الدارسين الذين يشككون في حد الردة.. ويقولون: إنه ليس موجودًا صراحة في القرآن الكريم فهل هذا صحيح؟

الجواب: نعم لم يرد في القرآن الكريم قتل المرتد[1]، وإنما وردت بذلك السنن الصحاح. وعندي أن جريمة الردة متفاوتة السوء والخطر، وقد تستحق القتل إذا ساوت ما نسميه الآن الخيانة العظمى، أو ما نسميه الخروج المسلح على الدولة. وقد تكون شبهة عارضة يكتفى فيها بالتوبة النصوح. وأمام القضاء تعرف الحقيقة، ويتحدد العقاب العدل، ويوزن خطأ كل فرد!!

٦ ـ هل يتعارض ما ورد في القرآن الكريم من اعتبار الحكم على إسلام الفرد من اختصاص الحق سبحانه وتعالى، مع القول بحق أي فرد أو جماعة

(١) هذا ليس مُسلَّمًا، فبعض فقهاء السلف يرون آية الحرابة في سورة المائدة تشمل المرتدين؛ لأنهم يحاربون اللَّه ورسوله ويسعون في الأرض فسادًا. انظر: بحثنا عن عقوبة المرتد في الفصل الأول من كتابنا: ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده.

في تكفير فرد أو الحكم بأنه مرتد؟

جواب: إن قلوب الناس إلى اللَّه بيقين. ولكن لمسالكهم حدودًا وضوابط من وضع اللَّه ذاته، وإلا سرت الفوضى بين الناس. فمن يدعو إلى ترك العلاقات الجنسية حرة، ويماري في جريمة الزنا وعقوبتها، لا يمكن اعتباره مسلمًا؛ لأنه مخاصم لحكم اللَّه وخارج عليه. ولذلك قال في ضرورة الطاعة التامة: ﴿**فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ**﴾ [التوبة: ١١].

فما العمل إذا لم يتب ويقم الصلاة ويؤت الزكاة؟ حكم اللَّه واضح.

٧ ـ اشتركت في مناظرة مع فرج فوده لأني كنت طامعًا ـ إذا شرحت له الحق، وبسطت أدلته ـ أن أعود بالرجل إلى الإيمان، ولكني وجدته يكره الإسلام ونظامه، وينكر صلاحية أحكامه للبقاء. أي أنه يؤيد حكم الإعدام الذي أصدره الاستعمار على شريعتنا وينحاز إلى أعدائنا بصراحة!!

هذا وقد أصدر نفر من علماء الأزهر كتابًا تضمن ما نسب إلى فرج فوده من خروج على الإسلام واستهزاء بتعاليمه.. ويستطيع الأستاذ صلاح منتصر أن يقرأ هذا الكتاب.. ذلك وأقول أخيرًا: إنني رجل من الدعاة إلى اللَّه، لا أتمنى إلا الحرية لي ولخصومي على السواء، وأكره العدوان والمشاكسة، ولكني أشكو من أن ديني يجار عليه، وينتقص منه ويحرم أهله ما يسمى في عصرنا بحقوق الإنسان، وأن المنتمين إلى هذا الدين في طور سيِّئ من تاريخه، وتكاد تذهب كراماتهم الخاصة والعامة في مهب الرياح.

محمد الغزالي

*** عقوبته قاتل المرتد:**

كان سؤالي الأخير إلى فضيلة الشيخ محمد الغزالي هو: إذا قتل إنسان

إنسانًا آخر بحجة أنه كفر أو ارتد.. فما عقوبته؟ هل يقتل قصاصًا أم تعزيرًا، أم نقول ـ كما فهم البعض من شهادتكم أمام القضاء ـ بأنه لا عقوبة عليه؟

وقد تلقيت شاكرًا رد فضيلة الشيخ الغزالي.. وفيما يلي نصه كما أنقله من رسالته المكتوبة بخط يده:

«إذا ارتد أحد عن الإسلام رفع أمره إلى القضاء ليبت في مصيره وفق حكم اللَّه.. وقد قلت: إن جريمته إذا ساوت الخيانة العظمى حكم القضاء بقتله. وتتقرر هذه المساواة في حالات شتى نذكر منها: التهوين من شأن القرآن والطعن في مكانته، وجحد الفرائض المعلومة من الدين بالضرورة والدعوة إلى تركها، واستباحة الكبائر وطلب فتح حانات الخمور ومواخير البغاء.. والسخرية من الحدود الشرعية، وإهانة الرسول ﷺ، إلى آخره.. فإذا أعلن المرتد توبته وأصلح نفسه سقط الحد عنه.. وعاد مسلمًا كما كان.. وليس للجمهور إقامة الحدود أو إيقاع العقوبات من قصاص وتعزير فذلك للقضاء، ومن فعل شيئًا من ذلك فقد افتأت على السلطة.. وهنا يقوم القضاء بتعزيره حسب ما يصون المصلحة العامة وهيبة القضاء.

وليست هناك عقوبة محددة لهذا المسلك.. بيد أننا نلفت النظر إلى أن التهاون في معاقبة المرتدين يفتح باب الفوضى. ومعروف أن هناك من ارتد وبسطت عليه بعض الحكومات حمايتها كسلمان رشدي، واعتقادي أن حكومتنا ترفض هذا السلوك، وأن قضاءنا ـ مع غيبة التعاليم الإسلامية ـ سيمنع هذه الفوضى، ويصون حق اللَّه سبحانه في ذلك، ولكم الشكر على سعة صدركم وكريم خلقكم».

محمد الغزالي

* الشيخ المبتلى الصابر ومع المحن المنح:

بعد مقتل النقراشي سيق الشيخ الغزالي إلى معتقل الطور ليقضي مع

إخوانه سنة كان لا بد منها للتدريب على ممارسة أنواع البلاء ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً﴾.

ويصف الشيخ تلك السنة بأنها كانت حافلة بالآلام والبركات معًا..

❑ يقول فضيلته: لقد غذّت هذه التجربة طاقة الاحتمال في النفوس وارتفعت بروحانيتها إلى مستوى عال، فلا تذمر، ولا تململ؛ بل الصبر الكريم، والرضا بالقدر الحكيم.

❑ ثم كانت الطامة الكبرى في العهد الذي أحال مصر كلها سجنًا كبيرًا، ويصف فضيلته ذلك العهد بأنه كان يسلب الرجال رجولتهم بما أطلق من زوابع الرعب، التي ألقت في رُوع كل حر في مصر أنه محاط بالأعين والحراب والسياط.

في أحد السجون سيق أهل العلم، وكل من توهّم المتسلطون أن له صلة بالدعوة الإسلامية، إلى الباستيل الذي لم يخل قطّ من الأبرياء.. وبعد سنوات من الفتنة التي شوّهت وحطّمت، أفرجوا عن أحد المشايخ ممن لم يستطيعوا مواصلة الاحتمال، بعد أن كتب لهم التعهّد الذي شاءوا.. وبعد أن أوهموه أن في مكان ما من جوفه جهاز تسجيل ينقل إليهم كل كلمة يقولها، وكل حركة يأتيها، وبذلك أصبح وهو خارج السجن، في جحيم لا يخمد من الخوف، أحال وجوده سجنًا لا يكاد يطيق معه حراكًا.

❑ يقول الشيخ: ظللت في مطالع المحنة مدّة ألقي الدرس في المسجد أو في الجامع فلا أدري في أعقابه أين أبيت..

ويوم أعلن الطاغية من موسكو نيّته في إيقاع المذبحة بالإخوان، استدراراً لعطف طواغيت الكرملين جاء الغزالي توجيه من الزبانية بوجوب التجريح في الجماعة لتسويغ ما يرادُ بهم، ولما رفض الخضوع للأمر زُجّ في سجن طرة، حتى قضى تلك المدة في جو من المهانة والتحقير لا يملك القدرة

على وصفه، ولكنها مع ذلك كله كانت فرصة أخرى للخلو مع القرآن الذي لم يكن له سلوة سواه.. ويشير إلى واحدة من هذه المناسبات الروحية قائلاً:

كنت ذات ليلة مضطجعًا في ثياب السجن فوق الأسفلت، فجعلتُ أتلو في نفسي سورة المائدة، وألاحظ أثناء ذلك مضامينها واحدًا تلو الآخر، فأحسّ بينها من التناغم ما لم أنتبه إليه من قبل.. وهكذا هُدِيت في ظلمات هذه المحنة إلى أنوار من المعرفة[1] أضاءت لي سبيلاً جديدة إلى أُفق جديد من

---

(١) من ذاق عرف.. ولا ينبيك مثل سجين.

وأردد مقالة شيخ الإسلام ابن تيمية: «لو يعلمون ما أسدوْا إليّ من الجميل بسجنهم إياي في القلعة ما كافأتهم عليه بملء القلعة ذهبًا» أو كما قال: ﴿**فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب**﴾ فافهم عن ربك ولا تخدعنك ظواهر الأشياء عن باطنها فكم في حشو البليّات من مسرّات، وكم في المحن من منح.

وكم للّه من لطفٍ خفيّ ... يدقّ خفاه عن فهم الذكيّ

وللّه در ابن تيمية حين يقول:

ما يصنع أعدائي بي أنا جنتي وبستاني في صدري أينما رحتُ فهي معي، إن معي كتاب اللّه وسنة نبيه، إن قتلوني فقتلي شهادة، وإن نفوني فنفي سياحة، وإن حبسوني فأنا في خلوة مع ربي.. إن المحبوس من حُبس عن ربه، وإن الأسير من أسره هواه».

وليس السجن حبس الجسم قهرًا ... فذا أنس برب العالمينا
سجينٌ من نأى عن شرع ربي ... سجينُ الروح عن هدي الأمينا
أيُترك من يعيث بأرض مصر ... ويُسجن من رضى الإسلام دينا
بلاد الليث مأوى الشافعي ... وتصبح ملهى كل العابثينا
سيوطي البلاد ينوحُ يبكي ... وحافظنا يجاوبه أنينا
ينادي العسقلاني يا بلادي ... أضعت الهدي كنا حافظينا
فيا فسطاط عمرو العاص عودي ... يعودُ الطيرُ كم ترح السنينا

أيام ليست من الدنيا.. بل هي جنة المعرفة والأنس باللّه برغم ضيق القضبان نشر اللّه علينا رحمته.. ردّدت فيها مع إبراهيم بن أدهم قوله: «لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من سعادة لجالدونا عليها بالسيوف».. ومع العابدة زوجة فتح الموصلي «حلاوة أجرها أنستني مرارة قطعها».

الفهم القرآني»[1].

* * *

= وفي المحن تأتي المنح. . بُشِّرت بجنين ذكر تحمله زوجي بعد دعاء طيلة خمسة عشر عامًا أن يرزقني الله بمولود يحمل الدعوة من بعدي أنذره وأهبه للعلم والدعوة إلى منهج السلف. . وكانت البشارة في السجن. . وصُمَّتْ أذن الدنيا إن لم تسمع لنا».

(١) «رجال ومفكرون عرفتهم» (١/ ٢٧٢ ـ ٢٧٤).

obeikandl.com